

التبيان
في فقه حادثة الإفك
وكفر من رمى عائشة بالبهتان

الشيخ الدكتور
سمير بن أحمد الصباغ

التبيان في فقه حادثة الإفك وكفر من رمى عائشة بالبهتان

كتبه الفقير إلى عفو ربه الشيخ الدكتور

سمير بن أحمد عبد الخالق الصباغ



حقوق الطبع مبدولة لعموم المسلمين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ
أَنْفُسِنَا، وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا
هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ
وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي
تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ
أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا
عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أَمَّا بَعْدُ: فَإِنْ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ نَبِينَا
مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكُلُّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٍ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي
النَّارِ.

أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ الصَّدِيقَةِ بِنْتُ الصَّدِيقِ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ فِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَخَيْرُ نِسَاءِ الْأُمَّةِ بَعْدَ خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ وَفَاطِمَةَ



بنت رسول الله محمد ﷺ، والتي ما نزل الوحي في بيت أحد من أزواجه إلا في بيتها، وهي التي بشر الله بها النبي ﷺ للزواج منها في المنام أكثر من مرة، يأتيه جبريل بها في سرقة من حرير، ويقول له: هذه زوجك. فيقول النبي ﷺ: «إِنْ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمِضْهُ».

وهي الفقيهة التقية العالمة التي تربت على يد رسول الله ﷺ، وحفظت عنه القرآن والسنة، وهي التي نفع الله بها الأمة إلى يومنا هذا، وهي أحب أزواج النبي ﷺ إليه وإلى المؤمنين.

والمنافقون هم المنافقون في كل زمان ومكان، أظهروا الإسلام، وأبطنوا الكفر، يطعنون في الكتاب والسنة وفي صحابة النبي ﷺ؛ بل ويطعنون في أزواجه، ومن ذلك أنهم - لعنهم الله - رموا أم المؤمنين عائشة الطاهرة المطهرة بالفاحشة، مع رجل من خيرة أصحاب النبي ﷺ ممن شهد بدرًا، وهو صفوان بن المعطل السلمي؛ بغية الطعن في رسول الله ﷺ، وفي دعوته، ودينه، وصاحبه صديق الأمة!



فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِمَّا قَالُوا، وَأَنْزَلَ قرآنًا يُتْلَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يُحْفَظُ فِي الصُّدُورِ، وَيُتْلَى فِي الْمَحَارِيبِ، فَمَنْ رَمَاهَا بَعْدَ ذَلِكَ بِالزُّنَا وَالْبُهْتَانِ فَقَدْ كَذَّبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَمَنْ كَذَّبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَهُوَ كَافِرٌ بِالْإِجْمَاعِ. وَمِنْ هَؤُلَاءِ الْمُنَافِقِينَ الزَّانِقَةُ الطَّاعِنِينَ فِي أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ: الشَّيْعَةُ الرَّافِضَةُ، شَيْعَةُ إِيْرَانِ وَالْعِرَاقِ، وَالْحَوْثِيُّونَ، وَحِزْبُ اللَّهِ الرَّافِضِيِّ، وَكُلُّ مَنْ نَحَا نَحْوَهُمْ، فَهَمَّ إِلَى الْآنَ يَلْعَنُونَ الصَّحَابَةَ، وَيُكْفِرُونَهُمْ. وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ مَنْ رَمَى أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ أَوْ غَيْرَهَا مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ بِالزُّنَا وَالْبُهْتَانِ: فَهُوَ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ.

وَنَتَعَرَّضُ فِي هَذِهِ الرِّسَالَةِ بِالشرحِ وَالتَّفْصِيلِ لِحَادِثَةِ الْإِفْكِ الَّتِي رَمَى فِيهَا الْمُنَافِقُونَ أُمَّنَا عَائِشَةَ بِالْفَاحِشَةِ، فَبَرَّأَهَا اللَّهُ مِمَّا قَالُوا، مِنْ خِلَالِ آيَاتِ سُورَةِ النُّورِ، وَالحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَأَهْلُ السُّنَنِ، مَعَ ذِكْرِ الْفَوَائِدِ وَالدُّرُوسِ الْمُسْتَفَادَةِ مِنْهَا. وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ، وَأَصْحَابِهِ الطَّيِّبِينَ، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرِينَ!



المبحث الأول

الآيات القرآنية التي نزلت في حادثة الإفك ومعانيها

قال الله تعالى:

{إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ وَلَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنْتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ



يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ
اللَّهَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾ [النور: ١١-٢٠].

معاني المفردات

- ١- {الْإِفْكُ}: هو أسوأ الكذب وأشدّه، والذي يتحيرُ الإنسانُ من شدّته، وهو البهتانُ والزورُ.
ومعناه هنا: رمي أمّ المؤمنين عائشة الطاهرة وقذفها بالزنى.
- ٢- {عُصْبَةٌ}: جماعة.
- ٣- {وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ}: أي: قام بنشرِ هذا الإفك والبهتانِ وأشعلَ ناره هو المنافق عبدُ الله بنُ أبيّ، ابنُ سلول.
- ٤- {لَوْلَا}: هلاً.
- ٥- {إِفْكٌ مُّبِينٌ}: كذبٌ، بينٌ، واضحٌ، ظاهرٌ، جليٌّ.
- ٦- {لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةٍ شُهَدَاءَ}: هلاً وجدوا أربعةَ شهودٍ رأوا الزنى بأعينهم حتى يتكلّموا بمثلِ هذه الجريمةِ الشنعاءِ، ويرمون بها البرّاءة.
- ٧- {لَمَسَّكُمْ}: أصابكم عذابٌ شديدٌ.
- ٨- {أَفْضُتُمْ فِيهِ}: تكلّمتم فيه وخضّتم بدونِ بينةٍ.



- ٩- {تَلَقَّوْنَهُ} : تقولونه ويأخذه بعضكم من بعض.
- ١٠- {وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا} : تظنونه سهلاً يسيراً؛ وهو كبيرٌ عظيمٌ.
- ١١- {بُهْتَنٌ} : كذبٌ وافتراءٌ، واتِّهامٌ للمرء بما ليس فيه.
- ١٢- {يَعِظُكُمُ اللَّهُ} : يُذكِّرُكم وينهاكم أن تعودوا لمثل هذا الذنب؛ من رمي الناس بالباطل.
- ١٣- {يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ} : الفاحشة هي الزنى، واللواط، وهي القذف والرمي بالزنى.
- إشاعة الفاحشة: نشرها والتشهير بها.
- والحبُّ عملُ القلب: فمجردُ محبةٍ إشاعةٍ الفاحشةِ ذنبٌ يأثمُ عليه الإنسان، ويُعاقبُ به، فما بالك بمن يُفشيها؟!!
- ١٤- {فَضَّلَ اللَّهُ} : كرمه وعطاؤه ورحمته ورزقه.
- ١٥- الشرُّ: هو الضرُّ، وإن كان مصحوباً بفائدةٍ مرجوحةٍ.
- ١٦- الخيرُ: هو النفعُ، وإن كان مصحوباً بضرٍ مرجوحٍ.
- ١٧- {لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ} : على كلِّ واحدٍ منهم وزره.



المبحث الثاني

المعنى الإجمالي للآيات والقصة

بعد غزوة الأحزاب قام النبي ﷺ بمعاينة كل من سَوَّلَ له نفسه بالمشاركة في هذا العدوان، وكان من هؤلاء المعتدين بنو المُصطلق، وهم جزء من قبيلة خزاعة المسالمة لرسول الله ﷺ، وفي أثناء رجوعه ﷺ من غزوه نزلوا منزلاً؛ ليستريحوا فيه، وكان معه من أزواجه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فذهبت لقضاء حاجتها، وفي أثناء ذلك فقدت عقدها، فظلت تبحث عنه حتى وجدته، وفي أثناء بحثها أذن النبي ﷺ بالرحيل، ولم يعلم أنها ليست في هودجها، فحمل الرجال الهودج، ووضعوه على الجمل، وانصرفوا، ثم جاءت بعد ذلك فلم تجد أحداً، فمكثت مكانها حتى إذا فقدوها رجعوا إلى المكان فوجدوها، فبينما هي جالسة ألقى الله عليها النوم؛ لئلا تستوحش من الظلمة والخلوة، وكان صفوان بن المعطل السلمي رضي الله عنه أحد الساقة الذين يتأخرون عن



الجيش لإغاثة المهوف، وجمع المفقودات التي قد تُفقد من
الجيش في أثناء السير ونحو ذلك.

فبينما هو قادمٌ إذ رأى سوادَ إنسانٍ نائمٍ، فلما اقتربَ وجدها أمَّ
المؤمنين، فعرفها؛ لأنه كان قد رآها قبلَ الحجاب، فمنَّ عظيمَ أدبه
وعفته وحيائه ﷺ لم ينادها باسمها، ولم يزعجها، وإنما ظلَّ يقولُ:
إنا لله وإنا إليه راجعون!

فاستيقظت على استرجاعه، فغطت وجهها، ولم يكلمها كلمةً،
وإنما أناخَ الجمل، وأعطاهَا ظهره؛ لتركبَ الجمل، فلما ركبَتْ،
ساقَ الجمل، ومشى أمامها؛ لئلا يراها حتى وصلَ إلى الجيش،
فهو رجلٌ نبيلٌ، وعمله جليلٌ.

ولكنَّ المنافقين يتربصون بالمؤمنين الدوائر، فوجدَ رأسُ
المنافقين عبدُ الله بنُ أبيّ، ابنُ سلولَ فرصةً للطعنِ في رسولِ الله
ﷺ وفي عرضه ورسالته، وفي أبي بكرٍ وفي الإسلامِ والمسلمين،
فرمى عائشةَ بالزنى، وقذفها في صفوان بنِ المعطلِّ العفيفِ النبيلِ،
وظلَّ ينشرُ الخبرَ الكاذبَ بخُبثٍ من غيرِ أن يظهرَ في الصورة،



فصدّق ذلك ثلاثة من الصحابة، هم: حسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثه، وحمّنة بنت جحش، فقالوا بقول أهل النفاق.

وأصاب عائشة مرضٌ بقدر الله، وهي لا تعلم ما يقال في حقّها، وكان النبي ﷺ يدخل فيسلم عليها، ويطمئنُّ عليها، ولكن ليس باللفظ المعتاد منه معها، ولم تعلم بذلك، ولم يكلمها النبي ﷺ في ذلك، حتى خرجت في ليلة مع أمّ مسطح لقضاء حاجتهما، فعثرت أمّ مسطح، ودعت على ولدها بالتعاسة، فأنكرت عليها عائشة وردّت عن مسطح؛ لأنه ممّن شهد بدراً، وأنه من الأفاضل، فأخبرتها بما يقول الناس، ويقول مسطح، فازداد مرضها، ثم استأذنت رسول الله ﷺ للذهاب لوالديها لتستوثق الخبر، فوثقوا لها الخبر، فاشتدّ مرضها وبكاؤها، وفي كلّ هذه المدة كان النبي ﷺ في حالة من القلق والغم، وكذلك المسلمون جميعاً، حتى جلس النبي ﷺ مع عائشة رضى الله عنها ووالديها، وقال: «إِنْ كُنْتُ بَرِيئَةً فَسِيرْتُكَ اللهُ، وَإِنْ كُنْتُ أَلَمْتُ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهُ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ».



قالت: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَقَالَتهُ، قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً، وَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ. قَالَ: وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِيمَا قَالَ. قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

فدافعت عن نفسها بأرق عبارات الحزن والأسى والغضب، مع يقينها وحسن ظنّها بالله أن الله تعالى مبرؤها، وفي المجلس نفسه نزل الوحي ببراءة عائشة، فضحك النبي ﷺ واستبشر، ثم بشر عائشة رضي الله عنها، ثم تلا الآيات العشرة من سورة النور في براءة عائشة رضي الله عنها وفضيحة المنافقين وكذب القاذفين.

فحمدت الله العليّ الكبير الرؤوف الرحيم، وما كانت تظنُّ أبداً أن الله يُنزل في شأنها قرآناً يُتلى في المحاريب، ويحفظ في الصدور، ويكتب في المصاحف، كان شأنها في نفسها أقل من أن يُنزل الله فيها قرآناً، فقد كان أقصى أمانها أن يرى رسول الله ﷺ

(١) أخرجه البخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).



رؤيا ببراءتها، ولكن لبراءتها وعظيم منزلتها عند الله تولى الله بنفسه العلية الدفاع عنها، وإظهار براءتها، وإعلاء شأنها، وهذه سنة الله مع أوليائه المتقين وعباده المخلصين الصالحين.

وكذا فعل سبحانه وتعالى مع يوسف الصديق، ومريم بنت عمران، وجريج العابد، وغيرهم، فكلما كان العبد متواضعا لربه لا يرى نفسه شيئا رفعه الله، وأعلى منزلته في الدنيا والآخرة. ثم أقيم الحد على الثلاثة الذين قذفوا عائشة بقول المنافقين: حسان، ومسطح، وحمنة.

وقبل نزول براءة عائشة استشار النبي ﷺ خواص أصحابه الذين هم بمنزلة أولاده المُلصقين به، وكثيرو الدخول عليه: عليا وأسامة بن زيد، والجارية بريرة التي تلزم عائشة، وزينب بنت جحش التي تُسامي عائشة في المنزلة من أزواج النبي ﷺ، وكلهم شهدوا ببراءة عائشة ﷺ وخيرتها.

وبعد ذلك صعد النبي ﷺ المنبر وشكا ابن سلول للمسلمين، وقال: «مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَّغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ



عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا
كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي».

فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا وَاللَّهُ أَعْذُرُكَ مِنْهُ، إِنْ
كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرْبَنَا عَنْقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزْرَجِ
أَمَرْتَنَا، فَفَعَلْنَا فِيهِ أَمْرَكَ، فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ - وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزْرَجِ،
وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ رَجُلًا صَالِحًا؛ وَلَكِنْ احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ - فَقَالَ:
كَذَبْتَ، لَعَمْرُ اللَّهِ، لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ
حُضَيْرٍ فَقَالَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ، وَاللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ
الْمُنَافِقِينَ، فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ حَتَّى هَمُّوا، وَرَسُولُ اللَّهِ
ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَتَزَلَّ، فَخَفَضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا.

حتى جاء الفرجُ بعدَ الكربِ، والنصرُ بعدَ الصبرِ، وتبرئةُ اللهِ
جلَّ وعلا لعرضِ رسولِ الله ﷺ، وعرضِ الإسلامِ والمسلمين،
وعرضِ الصِّديقِ أبي بكرٍ.

وفي ذلك أعظمُ دلالةٍ على وجودِ الله السميعِ، البصيرِ، العليمِ،
الخبيرِ، القريبِ، المُجيبِ، النصيرِ، الذي يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما



تُخْفِي الصُّدُورُ، وَالَّذِي يَدْبُرُ الْأَمْرَ، أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

فَقَالَ سُبْحَانَهُ: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْتَثَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور: ١١]؛ أي: إِنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ الَّذِي تَحَارُّ لَهُ الْعُقُولُ وَلَا بَيِّنَةٌ عَلَيْهِ هُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْحَقِيقِينَ أَوْ الْمُسْلِمِينَ الظَّاهِرِينَ الْمُنَافِقِينَ.

وَهَذِهِ الْمِحْنَةُ لَا تَحْسَبُوهَا شَرًّا؛ بَلْ هِيَ فِي ظَاهِرِهَا شَرٌّ وَفِتْنَةٌ؛ لَكِنَّا خَيْرٌ مِّمَّنْ هُمْ؛ فَقَدْ فَضَحَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ، وَبَرَّأَ الْمُؤْمِنِينَ، وَرَفَعَ بِهَا أَقْوَامًا، وَوَضَعَ بِهَا آخَرِينَ، وَظَهَرَ الصَّادِقُ مِنَ الْكَاذِبِ، وَالْمُؤْمِنُ مِنَ الْمُنَافِقِ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ يُحَاسَبُ عَلَى عَمَلِهِ، وَابْنُ سُلُوكِ الْمُنَافِقِ الَّذِي أَشْعَلَ نَارَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ لَهُ مِنَ اللَّهِ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ، وَقَدْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ، وَهُوَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ.



ثم قال الله سبحانه: {لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ
وَالْمُؤْمِنَاتُ بَأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ} [النور: ١٢]؛
أي: الواجب على أهل الإيمان أنهم إذا سمعوا مثل هذا الكذب
والبهتان في حقِّ أحدِ إخوانه من المؤمنين الصادقين أن يكذبوا بهذا
البهتان، ويحسنوا الظنَّ بإخوانهم المؤمنين، ويدافعوا عنهم،
ويقولوا عن هذا البهتان: هذا إفكٌ مبينٌ؛ أي: كذبٌ واضحٌ بينٌ.
ففيه وجوبُ إحسانِ الظنِّ بالمؤمنين والدفاعِ عنهم وتكذيبِ
الأكاذيبِ.

ثم قال الله تعالى: {لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ
يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ} [النور: ١٣]؛
أي: هل عندهم أربعُ شهودٍ ذكورٍ عدولٍ رأوا واقعةَ الزنى بأمِّ
أعينهم، وشهدوا بذلك حتى يتكلموا بهذا البهتان، {فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا
بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَذِبُونَ}، هؤلاء الذين خاضوا
بالإفكِ والبهتانِ في حقِّ عائشة رضي الله عنها إذا لم يأتوا بأربعةِ شهودٍ
صادقين، فهؤلاء القاذفون هم الكاذبون الذين يُجلدُ كلُّ منهم



ثمانين جلدَةً، وَلَا تُقْبَلُ لَهُ شَهَادَةٌ أَبَدًا، وَيَكُونُونَ مِنَ الْفَاسِقِينَ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ فِي عَقُوبَةِ الْقَذْفِ.

ثم قال سبحانه: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور: ١٤].
يعني: لولا فضل الله ورحمته بكم أيها القاذفون لعَجَلَ لكم عقاباً أليماً في الدنيا، ولعَذَّبَكم في الآخرة في نار جهنم؛ لكنَّ الله برحمته ولطفه قَبَلَ توبتكم، وجعل إقامة الحدِّ كفارةً لكم ونجاةً من عذاب الآخرة.

ثم قال الله سبحانه: {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ} [النور: ١٥]؛ أي: تنقلونه وتقولون به وتنشرونه بينكم، مع أنكم ليست عندكم بينة، وتحسبون هذا الكلام بالبهتان هيناً وهو عند الله عظيمٌ جرمه، لما فيه من الكذب والظلم للبراء.

ثم قال: {وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهِذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ} [النور: ١٦]؛ أي: كان الواجبُ



على كل مسلم حين يسمع هذا البهتان أن يكذبه، وألا يتكلم به؛ بل عليه أن يدافع عن عرض المؤمنين، ويقول: سبحانك، هذا بهتان عظيم، فينزه ربه جل وعلا عن أن يختار لنبه ﷺ زوجة غير صالحة، أو أن يدلّس على نبه ﷺ.

ثم قال سبحانه: {يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [النور: ١٧]؛ أي: يذكركم الله وينصحكم ويخوفكم من العود لمثل هذا الإفك والبهتان في البراء، إن كنتم مؤمنين حقًا. ومن عظيم رحمته ﷺ أنه سبحانه يبين الآيات؛ أي: يوضح الأحكام والمواعظ؛ لتعملوا بها؛ حتى لا يحلّ بكم سخطه وعقابه، {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}: عليم بأقوالكم وأفعالكم، حكيم في تدبيره وشرعه وحكمه.

ثم قال الله تعالى مُحَذِّرًا أَهْلَ النِّفَاقِ وَالْفُسُوقِ وَالْعَصِيَانِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحِبُّونَ الشَّرَّ لِلْمُسْلِمِينَ، وَالْإِسَاءَةَ لِأَعْرَاضِهِمْ، وَالْإِضْرَارَ بِهِمْ: {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ



يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ [النور: ١٩]، وهذا تهديدٌ شديدٌ، ووعيدٌ أكيدٌ لِمَنْ أَحَبَّ إشاعةَ الفاحشةِ في المؤمنين، فما بالنا بِمَنْ يُشيعُها فعلاً.

ثم قال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَعُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٢٠﴾﴾ [النور: ٢٠]: فلولا أَنَّ اللهَ تَفَضَّلَ على هؤلاءِ برحمته ورأفته لانتقمَ منهم أشدُّ انتقامٍ، ولكنه قَبَلَ - برحمته - توبةَ التائبين، وعفا عنهم بإقامةِ الحدِّ عليهم بدلاً من عذابِ الآخرة.

وأما المنافقون فهم من أهلِ النارِ كابنِ سُلُولٍ وأعوانه، قال الله عنهم: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥].



المبحث الثالث

الحديث الوارد في القصة

روى البخاري ومسلم رحمهما الله عن عائشة رضي الله عنها المَطَهَّرَةِ
 المَبْرَأَةِ زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة الصَّديقة بنت الصديق،
 قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ سَفَرًا، أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ،
 فَأَيَّتَهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَعَهُ. قَالَتْ عَائِشَةُ:
 فَأَقْرَعَ بَيْنَنَا فِي غَزْوَةِ غَزَاهَا، فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ
 اللَّهِ ﷺ، وَذَلِكَ بَعْدَمَا أُنْزِلَ الْحِجَابُ، فَأَنَا أُحْمَلُ فِي هَوْدَجِي،
 وَأُنْزَلُ فِيهِ مَسِيرَنَا حَتَّى إِذَا فَرَّغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوِهِ، وَقَفَلَ،
 وَدَنَوْنَا مِنَ الْمَدِينَةِ، آذَنَ لَيْلَةً بِالرَّحِيلِ فَقُمْتُ حِينَ آذَنُوا بِالرَّحِيلِ،
 فَمَشَيْتُ حَتَّى جَاوَزْتُ الْجَيْشَ، فَلَمَّا قَضَيْتُ مِنْ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى
 الرَّحْلِ، فَلَمَسْتُ صَدْرِي فَإِذَا عِقْدِي مِنْ جَزَعِ ظَفَارٍ قَدْ انْقَطَعَ،
 فَرَجَعْتُ فَالْتَمَسْتُ عِقْدِي فَحَبَسَنِي ابْتِغَاؤُهُ وَأَقْبَلَ الرَّهْطُ الَّذِينَ
 كَانُوا يَرْحَلُونَ لِي فَحَمَلُوا هَوْدَجِي فَرَحَلُوهُ عَلَى بَعِيرِي الَّذِي كُنْتُ
 أَرْكَبُ وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنِّي فِيهِ، قَالَتْ: وَكَانَتِ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا،



لَمْ يُهَبَّلْنَ وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ مِنَ الطَّعَامِ، فَلَمْ
يَسْتَنْكِرِ الْقَوْمُ ثِقَلَ الْهُودَجِ حِينَ رَحَلُوهُ وَرَفَعُوهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً
حَدِيثَةَ السِّنِّ، فَبَعَثُوا الْجَمَلَ وَسَارُوا، وَوَجَدْتُ عِقْدِي بَعْدَمَا اسْتَمَرَّ
الْجَيْشُ، فَجِئْتُ مَنَازِلَهُمْ وَلَيْسَ بِهَا دَاعٍ وَلَا مُجِيبٌ، فَتِمَمْتُ مَنَزِلِي
الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، وَظَنَنْتُ أَنَّ الْقَوْمَ سَيَفْقِدُونِي فَيَرْجِعُونَ إِلَيَّ، فَبَيْنَا أَنَا
جَالِسَةٌ فِي مَنَزِلِي غَلَبَتْنِي عَيْنِي فَنِمْتُ، وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ الْمُعَطَّلِ
السُّلَمِيِّ ثُمَّ الذَّكْوَانِيُّ قَدْ عَرَّسَ مِنْ وَرَاءِ الْجَيْشِ فَادَّلَجَ، فَأَصْبَحَ عِنْدَ
مَنَزِلِي فَرَأَى سَوَادَ إِنْسَانٍ نَائِمٍ، فَاتَّانِي فَعَرَفَنِي حِينَ رَأَيْتِي، وَقَدْ كَانَ
يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَيَّ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ
عَرَفَنِي، فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي، وَوَاللَّهِ مَا يُكَلِّمُنِي كَلِمَةً وَلَا
سَمِعْتُ مِنْهُ كَلِمَةً غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، حَتَّى أَنَاخَ رَاحِلَتَهُ، فَوَطِئْتُ عَلَى
يَدِهَا فَرَكَبْتُهَا، فَانْطَلَقَ يَقُودُ بِي الرَّاحِلَةَ، حَتَّى أَتَيْنَا الْجَيْشَ، بَعْدَمَا
نَزَلُوا مُوْغِرِينَ فِي نَحْرِ الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي، وَكَانَ
الَّذِي تَوَلَّى كِبَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولَ، فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ
فَاشْتَكَيْتُ، حِينَ قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ شَهْرًا، وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ فِي قَوْلِ أَهْلِ



الإفك، وَلَا أَشْعُرُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، وَهُوَ يَرِينِي فِي وَجْعِي أَنِّي لَا
أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللُّطْفَ، الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي،
إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَسْلَمُ، ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تَيْكُم؟» فَذَاكَ
يَرِينِي، وَلَا أَشْعُرُ بِالشَّرِّ، حَتَّى خَرَجْتُ بَعْدَمَا نَقَهْتُ، وَخَرَجْتُ
مَعِيَ أُمُّ مِسْطَحٍ قَبْلَ الْمَنَاصِعِ، وَهُوَ مُتَبَرِّزُنَا، وَلَا نَخْرُجُ إِلَّا لَيْلًا إِلَى
لَيْلٍ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ نَتَّخِذَ الْكُنْفَ قَرِيبًا مِنْ بُيُوتِنَا، وَأَمَرْنَا أَمْرَ الْعَرَبِ
الْأَوَّلِ فِي التَّنْزِهِ، وَكُنَّا نَتَأَذَى بِالْكُنْفِ أَنْ نَتَّخِذَهَا عِنْدَ بُيُوتِنَا،
فَانْطَلَقْتُ أَنَا وَأُمُّ مِسْطَحٍ، وَهِيَ بِنْتُ أَبِي رُحْمِ بْنِ الْمُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ
مَنَافٍ، وَأُمُّهَا ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ، خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ، وَابْنُهَا
مِسْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، فَأَقْبَلْتُ أَنَا وَبِنْتُ أَبِي رُحْمِ قَبْلَ
بَيْتِي، حِينَ فَرَعْنَا مِنْ شَأْنِنَا، فَعَثَرْتُ أُمُّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ:
تَعِسَ مِسْطَحٌ، فَقُلْتُ لَهَا: بِئْسَ مَا قُلْتَ، أَتَسْبِيْنِ رَجُلًا قَدْ شَهِدَ بَدْرًا،
قَالَتْ: أَيُّ هَتَّاءَ، أَوْ لَمْ تَسْمَعِي مَا قَالَ؟ قُلْتُ: وَمَاذَا قَالَ؟ قَالَتْ:
فَأَخْبَرْتَنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ فَازْدَدْتُ مَرَضًا إِلَى مَرَضِي، فَلَمَّا
رَجَعْتُ إِلَى بَيْتِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «كَيْفَ



تَيْكُم؟» قُلْتُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ قَالَتْ: وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَتَيَنَّ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا، فَأَذِنَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجِئْتُ أَبَوَيَّ فَقُلْتُ لِأُمِّي: يَا أُمَّتَاهُ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ فَقَالَتْ: يَا بِنْتَهُ هَوْنِي عَلَيْكَ، فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا كَانَتْ امْرَأَةً قَطُّ وَضِئَّةً عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا، وَلَهَا ضَرَائِرُ، إِلَّا كَثُرْنَ عَلَيْهَا، قَالَتْ: قُلْتُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! وَقَدْ تَحَدَّثَ النَّاسُ بِهَذَا؟ قَالَتْ: فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ حَتَّى أَصْبَحْتُ لَا يَرِقًا لِي دَمْعٌ وَلَا أَكْتَحِلُ بَنَوْمٍ، ثُمَّ أَصْبَحْتُ أَبْكِي، وَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ حِينَ اسْتَلَبْتُ الْوَحْيَ، يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِ أَهْلِهِ، قَالَتْ: فَأَمَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فَأَشَارَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالَّذِي يَعْلَمُ مِنْ بَرَاءَةِ أَهْلِهِ، وَبِالَّذِي يَعْلَمُ فِي نَفْسِهِ لَهُمْ مِنَ الْوُدِّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هُمْ أَهْلُكَ، وَلَا نَعْلَمُ إِلَّا خَيْرًا، وَأَمَّا عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَقَالَ: لَمْ يُضِيقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَإِنْ تَسْأَلِ الْجَارِيَةَ تَصَدُّقَكَ، قَالَتْ: فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَرِيرَةَ، فَقَالَ: «أَيُّ بَرِيرَةَ، هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيْبُكَ مِنْ عَائِشَةَ؟» قَالَتْ لَهُ بَرِيرَةُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، إِنْ رَأَيْتِ عَلَيْهَا أَمْرًا قَطُّ أَغْمَصَهُ عَلَيْهَا، أَكْثَرَ مِنْ أَنْهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةٌ



السَّنَّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِ أَهْلِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ، قَالَتْ: فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَاسْتَعَذَرَ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي إِبْنِ سَلُولَ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي» فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الْأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ: أَنَا أَعْذِرُكَ مِنْهُ، يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرْبَنَا عَنْقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا الْخَزَرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ، قَالَتْ: فَقَامَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ وَهُوَ سَيِّدُ الْخَزَرَجِ، وَكَانَ رَجُلًا صَالِحًا، وَلَكِنْ اجْتَهَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ، فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ - وَهُوَ ابْنُ عَمِّ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ -، فَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ لَنَقْتُلَنَّهُ، فَإِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ، فَثَارَ الْحَيَّانِ الْأَوْسُ وَالْخَزَرَجُ حَتَّى هَمُّوا أَنْ يَقْتَتِلُوا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ، قَالَتْ: وَبَكَيْتُ يَوْمِي ذَلِكَ، لَا يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، وَلَا



أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ، ثُمَّ بَكَيْتُ لَيْلَتِي الْمُقْبِلَةَ لَا يَرَقًا لِي دَمْعٌ، وَلَا أَكْتَحِلُ
بِنَوْمٍ، وَأَبَوَايَ يَظُنَّانِ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقُ كَبِدِي، فَبَيْنَمَا هُمَا جَالِسَانِ
عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي، اسْتَأْذَنْتُ عَلَيَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَأَذِنْتُ لَهَا،
فَجَلَسْتُ تَبْكِي، قَالَتْ: فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ
ﷺ، فَسَلَّمَ، ثُمَّ جَلَسَ، قَالَتْ: وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مُنْذُ قِيلَ لِي مَا
قِيلَ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ فِي شَأْنِي بِشَيْءٍ، قَالَتْ: فَتَشْهَدُ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ
بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً، فَسَيَرُّكَ اللَّهُ وَإِنْ كُنْتَ
أَلَمَمْتَ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ
بِذَنْبٍ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ» قَالَتْ: فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
مَقَالَتَهُ، قَلَصَ دَمْعِي حَتَّى مَا أَحْسُ مِنْهُ قَطْرَةً، فَقُلْتُ لِأَبِي: أَجِبْ
عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فِيمَا قَالَ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ
اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا
أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْتُ وَأَنَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ
كَثِيرًا مِنَ الْقُرْآنِ: إِنِّي وَاللَّهِ لَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّكُمْ قَدْ سَمِعْتُمْ بِهَذَا حَتَّى



اسْتَقَرَّ فِي نَفْسِكُمْ وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، فَإِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَرِيءَةٌ - وَاللَّهُ يَعْلَمُ
 أَنِّي بَرِيءَةٌ - لَا تُصَدِّقُونِي بِذَلِكَ، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرِ - وَاللَّهُ يَعْلَمُ
 أَنِّي بَرِيءَةٌ - لَتُصَدِّقُونِي وَإِنِّي - وَاللَّهُ - مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا
 قَالَ أَبُو يُوسُفَ: {فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ}
 [يوسف: ١٨] قَالَتْ: ثُمَّ تَحَوَّلْتُ فَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، قَالَتْ: وَأَنَا،
 وَاللَّهُ حِينَئِذٍ أَعْلَمُ أَنِّي بَرِيءَةٌ، وَأَنَّ اللَّهَ مُبَرِّئِي بِرَاءَتِي، وَلَكِنْ، وَاللَّهُ مَا
 كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يُنْزَلَ فِي شَأْنِي وَحْيٌ يُتْلَى، وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي
 نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ ﷻ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يُبَرِّئُنِي اللَّهَ بِهَا، قَالَتْ: فَوَاللَّهِ مَا رَأَى
 رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ
 ﷻ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ، فَأَخَذَهُ مَا كَانَ يَأْخُذُهُ مِنَ الْبُرْحَاءِ عِنْدَ الْوَحْيِ،
 حَتَّى إِنَّهُ لَيَتَحَدَّرُ مِنْهُ مِثْلُ الْجُمَانِ مِنَ الْعَرَقِ، فِي الْيَوْمِ الشَّاتِ مِنْ
 ثِقَلِ الْقَوْلِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ، قَالَتْ: فَلَمَّا سُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
 وَهُوَ يَضْحَكُ، فَكَانَ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا أَنْ قَالَ: «أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ
 أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأكَ» فَقَالَتْ لِي أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقُومُ



إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهُ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي، قَالَتْ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ} مِنْكُمْ عَشْرَ آيَاتٍ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ هَؤُلَاءِ الْآيَاتِ بَرَاءَتِي، قَالَتْ: فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقَرَهُ: وَاللَّهِ لَا أُنْفِقُ عَلَيْهِ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى} إِلَى قَوْلِهِ: {أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ} [النور: ٢٢]، قَالَ حَبَّانُ بْنُ مُوسَى: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: هَذِهِ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأَحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحِ النَّفَقَةِ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ، وَقَالَ: لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا، قَالَتْ عَائِشَةُ: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَأَلَ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ، زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ أَمْرِي: «مَا عَلِمْتَ؟ أَوْ مَا رَأَيْتِ؟» فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ إِلَّا خَيْرًا. قَالَتْ عَائِشَةُ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِنِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ، وَطَفِقَتْ أُخْتُهَا حَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ تُحَارِبُ لَهَا، فَهَلَكَتْ فِيمَنْ



هَلَكَ»، قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَهَذَا مَا انْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ أَمْرِ هَؤُلَاءِ الرَّهْطِ، وَقَالَ فِي حَدِيثِ يُونُسَ: احْتَمَلَتْهُ الْحَمِيَّةُ^(١).

وَفِي رَوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ قَالَ عُرْوَةُ: «كَانَتْ عَائِشَةُ تَكْرَهُ أَنْ يُسَبَّ عِنْدَهَا حَسَّانٌ، وَتَقُولُ: فَإِنَّهُ قَالَ:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي * لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
وَزَادَ أَيْضًا: قَالَ عُرْوَةُ: قَالَتْ عَائِشَةُ: «وَاللَّهِ إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي
قِيلَ لَهُ مَا قِيلَ لَيَقُولُ: سُبْحَانَ اللَّهِ! فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا كَشَفْتُ
عَنْ كَنْفِ أَنْثَى قَطُّ»، قَالَتْ: ثُمَّ قُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ شَهِيدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(٢).
وَفِي رَوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «لَمَّا ذُكِرَ مِنْ شَأْنِي
الَّذِي ذُكِرَ، وَمَا عَلِمْتُ بِهِ، قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَطِيبًا فَتَشَهَّدَ، فَحَمِدَ
اللَّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ أَشِيرُوا عَلَيَّ فِي
أَنْاسٍ أَبْنَوْا أَهْلِي، وَإِنَّمِ اللَّهُ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي مِنْ سُوءٍ قَطُّ،
وَأَبْنَوْهُمْ، بِمَنْ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَطُّ، وَلَا دَخَلَ بَيْتِي قَطُّ

(١) أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٢) مسلم (٢٧٧٠).



إِلَّا وَأَنَا حَاضِرٌ، وَلَا غِبْتُ فِي سَفَرٍ إِلَّا غَابَ مَعِيَ» وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِقِصَّتِهِ، وَفِيهِ: وَلَقَدْ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْتِي، فَسَأَلَ جَارِيَتِي، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا عَيْبًا، إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ تَرْقُدُ حَتَّى تَدْخُلَ الشَّاةُ فَتَأْكُلَ عَجِينَهَا، أَوْ قَالَتْ خَمِيرَهَا - شَكَّ هِشَامٌ - فَاَنْتَهَرَهَا بَعْضُ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: اصْدُقِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى أَسْقُطُوا لَهَا بِهِ، فَقَالَتْ: سُبْحَانَ اللَّهِ! وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا مَا يَعْلَمُ الصَّائِغُ عَلَى تَبْرِ الذَّهَبِ الْأَحْمَرِ^(١).

وعند مسلم: «وَكَانَ الَّذِينَ تَكَلَّمُوا بِهِ مِسْطَحٌ وَحَمْنَةُ وَحَسَّانُ، وَأَمَّا الْمُنَافِقُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي فَهُوَ الَّذِي كَانَ يَسْتَوْشِيهِ وَيَجْمَعُهُ، وَهُوَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ وَحَمْنَةُ».

^(١) أخرجه مسلم (٢٧٧٠).



معاني كلمات الحديث

- ١- «آذَنَ» بالمد والقصر: أعلمَ.
- ٢- جَزَع ظَفَارٍ: «الجَزَعُ» بفتح الجيم وإسكان الزاي: وهو خرزٌ يمانِي، ظَفَارٌ: اسمُ قريةٍ باليمن.
- ٤- الرَّهْطُ: هم جماعةٌ دونَ العشرة.
- ٥- الهودج: مركبٌ من مراكبِ النساءِ.
- ٦- يُهَبِّلَن: يَثْقُلَنَ باللحمِ والشحمِ.
- ٧- العُلُقَةُ؛ أي: القليلُ من الطعامِ.
- ٨- عَرَّسَ من وراءِ الجيشِ: التعريسُ: هو النزولُ آخرَ الليلِ في السفرِ لنومٍ أو استراحةٍ. و«ادَّلَجَ»: هو سيرٌ آخرَ الليلِ.
- ٩- سوادُ إنسانٍ؛ أي: شخص.
- ١٠- خَمَّرَتْ وجهي: غَطَّتْهُ.
- ١١- موغرين؛ أي: لنازِلين في وقتِ الوغرة؛ وهي شِدَّةُ الحرِّ.
- ١٢- نحرُ الظهيرة: وقتُ القائلةِ وشِدَّةُ الحرِّ.
- ١٣- يَرَبِّئِي: يقال: رابه وأرابه: إذا أوْهَمَه وشكَّكَه.



- ١٤- اللُّطْفُ: هو البِرُّ والرَّفْقُ.
- ١٥- نِقَهْتُ: الناقَةُ هو الذي أفاق من المرضِ، وبراً منه، وهو قريبٌ عهدٍ به، لم يتراجعْ إليه كمالٌ صحَّته.
- ١٦- المناصع: مواضعٌ خارجُ المدينةِ كانوا يتبرَّزون فيها.
- ١٧- الكُنْفُ: جمعُ كنيفٍ، والكنيفُ الساترُ مطلقاً.
- ١٨- التَّنْزَهُ: طلبُ النزاهةِ للخروجِ إلى الصحراءِ.
- ١٩- المِرْطُ: كساءٌ من صوفٍ أو غيره، والجمع: مِرْوط.
- ٢٠- تَعَسَ: لَزِمَهُ الشرُّ، أو هلكَ، أو بَعُدَ، سقطَ على وجهه.
- ٢١- هَتَّاهُ؛ أي: يا امرأة، يا بلهاء، كأنَّها نُسِبَتْ إلى قلةِ المعرفةِ بمكائِدِ الناسِ وشرورِهِم.
- ٢٢- الوَضِيئَةُ: الجميلةُ الحسنةُ، والوَضَاءَةُ: الحسن.
- ٢٣- ضرائرُ: جمعُ ضَرَّةٍ، وزوجاتُ الرجلِ: ضرائرُ؛ لأنَّ كلَّ واحدةٍ تتضرَّرُ بالأخرى بالغيرةِ والقسمِ وغيرها.
- ٢٤- «أكثرَ عليها»؛ أي: في عيبها ونقصها.
- ٢٥- «لا يرقاً»: لا ينقطعُ.



٢٦- «لَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ»؛ أَي: لَا أَنَامُ.

٢٧- «اسْتَلَبَتْ الْوَحْيَ»: أَبْطَأَ وَلَبَثَ وَلَمْ يَنْزِلْ.

٢٨- «أَغْمَصُهُ»: أَعْيَبُهُ.

٢٩- «الدَّاجِنُ»: الشَّاةُ الَّتِي تَأْلَفُ الْبَيْتَ، وَلَا تَخْرُجُ لِلْمَرْعَى.

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ لَيْسَ فِيهَا شَيْءٌ مِمَّا تَسْأَلُونَ عَنْهُ، وَلَا فِيهَا شَيْءٌ
مِنْ غَيْرِهِ إِلَّا نَوْمَهَا عَنِ الْعَجِينِ.

٣٠- «يَعِذُّنِي»؛ أَي: مَنْ يَقُومُ بِعُذْرِي إِنْ كَافَأَتْهُ عَلَى قَبِيحِ

أَفْعَالِهِ، وَلَا يَلُومُنِي؟ وَقِيلَ مَعْنَاهُ: يَنْصُرُنِي، وَالْعُذِيرُ: النَّاصِرُ.

٣١- «اجْتَهَلْتَهُ الْحَمِيَّةَ»؛ أَي: اسْتَخَفَّتَهُ وَحَمَلَتْهُ عَلَى الْجَهْلِ،

وَمَعْنَاهُ: أَغْضَبَتْهُ.

٣٢- «فَثَارَ الْحَيَّانِ»: تَنَاهَضُوا لِلنِّزَاعِ وَالْعَصْبِيَّةِ.

٣٣- «قَلَصَ دَمْعِي»: ارْتَفَعَ لَا سَتَعِظَامٍ مَا يَعِيبُنِي فِي الْكَلَامِ.

٣٤- «الْبَرْحَاءُ»: الشَّدَّةُ.

٣٥- «لَيْتَحَدَّرُ»؛ أَي: لَيَنْصَبُّ.



٣٦- «الجُمان»: الدُّرُّ، شَبَّهَتْ حَبَّاتِ عَرَقِهِ ﷺ بِحَبَّاتِ اللُّؤْلُؤِ فِي

الصفاء والحُسن.

٣٧- «سُرِّي»: كُشِفَ وَأُزِيلَ.

٣٨- «وَلَا يَأْتَلِ»: أي: لَا يَحْلِفُوا، الْأَلِيَّةُ: اليمين.

٣٩- «أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي»: أَصُونُ.

٤٠- «تَسَامِينِي»: تَفَاخُرُنِي، وَتُضَاهِينِي بِجَمَالِهَا.

٤١- «طَفِقْتُ حَمْنَةً تَحَارِبُ لَهَا»: أي: جَعَلْتُ تَتَعَصَّبُ لَهَا،

فَتَحْكِي مَا يَقُولُهُ أَهْلُ الْإِفْكِ.

٤٢- «كَنْفٌ»: الْكَنْفُ هُنَا الثَّوْبُ الَّذِي يَسْتُرُهَا، «مَا كَشَفْتُ مِنْ

كَنْفٍ أَنْثَى قَطُّ»: هُوَ كُنَايَةٌ عَنْ عَدَمِ جَمَاعِ النِّسَاءِ جَمِيعِهِنَّ.

٤٣- «أَبْنُوا أَهْلِي»: اتَّهَمُوهَا وَرَمَوْهَا بِالسُّوءِ.

٤٤- «أَسْقَطُوا لَهَا بِهِ»: أي: صَرَّحُوا لَهَا بِالْأَمْرِ.

٤٥- «تَبَرَّ الذَّهَبُ»: هُوَ الْقِطْعَةُ الْخَالِصَةُ.

٤٦- «يَسْتَوْشِيهِ»: يَسْتَخْرِجُهُ بِالْبَحْثِ وَالْمَسْأَلَةِ، ثُمَّ يُفْشِيهِ

وَيُشِيعُهُ وَيَحَرِّكُهُ، وَلَا نَدْعُهُ بِحَمْدٍ.



المبحث الرابع

الدروس والأحكام المستفادة من قصة الإفك

لقد اشتملتُ حادثة الإفك على أحكام ودروسٍ وعبرٍ كثيرة،
نذكرُ منها ما يأتي:

١- خيرٌ مَنْ يروي الخبرَ هو صاحبُ الخبرِ نفسه، فإنه أدري بما
وقعَ له وحصلَ معه: فالذي روى قصةَ حادثة الإفك هي صاحبُها
التي ابتليتُ بما قيلَ فيها، وهي الصّديقةُ بنتُ الصّديق، أمُّ
المؤمنين، العفيفةُ المُطهّرة، المبرّاةُ من فوقِ سبعِ سَمَوَاتٍ، عائشةُ
بنتُ أبي بكرٍ رضي الله عنه.

٢- الابتلاءُ سنةٌ ربّانيةٌ في الخلق، لا بدَّ لكلِّ واحدٍ من بلاءٍ: وقد
ابتليَ بهذه القصةِ عائشةُ أمُّ المؤمنين، وزوجُها العظيمُ رسولُ الله
محمدٌ صلّى الله عليه وسلّم وصديقُ الأُمّةِ أبوها أبو بكرٍ رضي الله عنه، وكذلك أمُّها وبقيةُ
أهلها كإخوتها؛ بل وجميعُ المسلمين.

٣- الحكمةُ من البلاءِ رفعُ الدرجاتِ، وتكفيرُ السيئاتِ، وإظهارُ
المنافقين والحاسدين، والتمييزُ بين المُحبِّ والمُبغضِ: فالفتنةُ



فَصَّاحَةٌ تَكْشِفُ وَتُظْهِرُ مَعَادِنَ النَّاسِ، قَالَ تَعَالَى: {مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾} [آل عمران: ١٧٩].

فالذي تولى كِبَرُ حادثة الإفك هم المنافقون، وعلى رأسهم عبد الله بن أبي، ابن سلول لعنه الله!

٤- مشروعية القرعة ووجوبها بين الأزواج في السفر: وعمل بها ثلاثة من الأنبياء: يونس، وزكريا، ومحمد عليهم السلام. دلت نصوص الكتاب والسنة على مشروعية القرعة والاستيهاام عند التنازع والاشتباه في تحديد الحقوق، وقطع الخصومات، أو تعيين نصيب صاحب الحق عند الإبهام أو التزاحم، وهي مشروعة بالقرآن والسنة.

قال الله تعالى: {ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ



يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٤﴾ [آل عمران: ٤٤]، وهذه القرعة فيمن يكفل مريم لتعليمها وتربيتها.

وقال سبحانه: {وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلِّ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾} [الصافات: ١٣٩-١٤١]؛ أي: اقترع فكان من المستهين.

وقال النبي ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الْأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهْمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي الْعَتَمَةِ وَالصُّبْحِ، لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبَوًّا»^(١).

وفي هذا الحديث قالت عائشة: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا أَقْرَعَ بَيْنَ نِسَائِهِ، فَأَيَّتَهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا مَعَهُ»^(٢).
قال الحافظ ابن حجر: فيه مشروعية القرعة والردُّ على مَنْ مَنَعَهَا.

^(١) أخرجه البخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧).

^(٢) أخرجه البخاري (٢٥٩٣)، ومسلم (٢٧٧٠).



٥- مشروعية سفر المرأة مع زوجها ومحارمها في الغزو وغيره:

فقد ثبت في الأحاديث الصحيحة خروج عائشة وأم سلمة وغيرهما رضي الله عنهن في غزوة أحد، وفي غزوة حنين، والمريسيع، وفي الحج والعمرة، ونحو ذلك.

٦- حرمة سفر المرأة بغير زوج أو محرم: لقول النبي ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تُوْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، تُسَافِرُ مَسِيرَةَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحَرَمٍ»^(١).

وفي حديث آخر: «لَا يَخْلُونَ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحَرَمٍ، وَلَا تُسَافِرُ الْمَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحَرَمٍ»، فقام رجل، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَةً، وَإِنِّي أُكْتِبْتُ فِي غَزْوَةٍ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ»^(٢).

٧- مهمات النساء في الغزو: كانت بعض أزواج النبي ﷺ

كعائشة وبعض نساء الصحابة كأم سليم بنت ملحان، وأم عمار

^(١) أخرجه مسلم (١٣٣٨).

^(٢) أخرجه مسلم (١٣٤١).



يَخْرُجْنَ مَعَ أَزْوَاجِهِنَّ وَمَحَارِمِهِنَّ فِي الْغَزْوِ؛ لِمُدَاوَاةِ الْجَرْحَى،
وَسَقْيِ الْمَاءِ، وَصِنَاعَةِ الطَّعَامِ لِلْغَزَاةِ الْمُحَارِبِينَ.

٨- وجوبُ سِتْرِ المرأةِ بالحجابِ الذي يحجبُها عن أنظارِ

الرجالِ: سواءً كان حجابُ البيوتِ، فتكونُ مستورةً داخلَ بيتها كما
قال الله: {وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى^{٥٨}
وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ
لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾}
[الأحزاب: ٣٣]، فقرارُ المرأةِ في بيتها وقَارُ لها، وحجابُ لها عن أعينِ
الرجالِ.

أو كان حجابُ البروزِ، فهي إذا خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا لضرورةٍ
تَخْرُجُ مُحْجُوبَةً بِالْإِدْنَاءِ وَالْجَلْبَابِ وَالْخِمَارِ السَاتِرِ لْجَمِيعِ الْبَدَنِ،
فَلَا يَرَى أَحَدٌ مِنْهَا شَيْئًا، لَا الْوَجْهَ وَلَا الْكَفَّيْنِ وَلَا غَيْرَهُمَا؛ لِقَوْلِ
اللهِ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ
يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ^{٥٩} وَكَانَ
اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٩﴾} [الأحزاب: ٥٩]، وَالْإِدْنَاءُ هُوَ سِتْرُ جَمِيعِ الْبَدَنِ،



فلا يبدو منها إلا عينٌ واحدةٌ كي ترى بها، كما فسَّره ابنُ عباسٍ وعبيدة السلمانيُّ وغيرُهما، أو العِنانِ تحتَ النقابِ؛ لحديث: «لَا تَتَّقِبِ الْمُحْرِمَةُ، وَلَا تَلْبَسِ الْقَفَازِينَ»^(١)، فَعَلِمَ من ذلك أَنَّ غيرَ المُحْرِمَةِ تَلْبَسُ النُّقَابَ وَالْقَفَازِينَ، وتَسْتُرُ جميعَ بدنِها، وتنظرُ بعينٍ أو بالاثنتين.

وكذلك الجلبابُ هو العباءةُ أو الملاءةُ أو المَلْحَفَةُ الساترةُ لجميعِ بدنِ المرأةِ من رأسِها إلى قدميها، وكذلك الخمارُ هو ما يَخْمُرُ الرأسَ والصدرَ، ويغْطِي جميعَ البدنِ، فجميعُ بدنِ المرأةِ عورةٌ إذا برزتْ أمامَ الرجالِ الأجانبِ؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «الْمَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ»^(٢).

ولذلك كانتِ النساءُ بعدَ نزولِ آيةِ الحجابِ تَسْتُرُ جميعَ البدنِ، وتُحْجَبُ في الهَوْدَجِ إذا رَكِبْنَ الإِبِلَ كما في حديثِ عائشةَ رضي الله عنها هنا.

^(١) أخرجه البخاري (١٨٣٨).

^(٢) أخرجه الترمذي (١١٧٣)، وصححه الألباني.



وما شرع الحجاب في السنة الخامسة من الهجرة وقبل غزوة
المريسيع إلا لستر المرأة وجهها وكفيها وجميع بدنها.

٩- مشروعية الغزو لتأديب المعتدين: فقد كانت غزوة

المريسيع لتأديب الذين تحزبوا على رسول الله ﷺ وعلى
المسلمين للقضاء على الإسلام وأهله، فبعد أن هزم الله الأحزاب،
وهزم بني قريظة صار النبي ﷺ وأصحابه إلى قوم من خزاعة كانوا
ضمن الأحزاب المعتدين، وكانوا يتوعدون غزو المدينة، فغزاهم
النبي ﷺ قبل أن يغزوه مرة أخرى، وقتل منهم من قتل، وأسر منهم
من أسر، وسبى من سبى، وغنم من أموالهم، وهذا جزاء من تسول
له نفسه أن يعتدي على حرمة الإسلام والمسلمين.

قال الله تعالى: {فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ
مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾}
[البقرة: ١٩٤]، وقال تعالى: {وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ أُنتَهُوا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾} [البقرة: ١٩٣].



١٠- مشروعية خدمة الرجال الأجانب للمرأة من وراء حجاب
وعند أمن الفتنة: فكان بعض الجنود من الصحابة يحملون هودج
أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الذي تمكث وتُحجَبُ فيه، ويضعونه على
الجمال، في الذهاب وفي الإياب.

١١- جواز تحلي المرأة بالقلادة: كالسلسلة والعقد ونحوه من
تحت الحجاب في السفر والحضر، فقد كانت عائشة رضي الله عنها تلبس
العقد في السفر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بإقرار النبي صلى الله عليه وسلم لها بذلك.

١٢- وجوب صيانة المال والنهي عن إضاعته: فلما فقد العقد
من عائشة رضي الله عنها لم تهمله، ولم تترك البحث عنه، وإنما بحثت عنه
حتى وجدته؛ لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ كَرِهَ لَكُمْ ثَلَاثًا: قِيلَ وَقَالَ،
وَإِضَاعَةُ الْمَالِ، وَكَثْرَةُ السُّؤَالِ»^(١).

١٣- استعمال ألفاظ الكناية فيما يُستَحْيَى من ذكره: قالت
عائشة رضي الله عنها: «فَلَمَّا قُضِيَ شَأْنِي أَقْبَلْتُ إِلَى رَحْلِي»؛ أي: بعد أن
فرغت من قضاء حاجتها رجعت إلى رحلها.

^(١) أخرجه البخاري (١٤٧٧)، ومسلم (٥٩٣).



١٤- فضيلةُ خِفَةِ البدَنِ وخِفَةِ المَطْعَمِ: قال النبي ﷺ: «مَا مَلَأَ أَدَمِيَّ وَعَاءٌ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ. بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتُ يُقْمَنَ صُلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثَلْثَ لِبَطْعَامِهِ وَثَلْثَ لِشَرَابِهِ وَثَلْثَ لِنَفْسِهِ»^(١).

فقلةُ الطعامِ أعونٌ على النشاطِ والهمةِ العاليةِ، وقلةُ النومِ أعونٌ على طلبِ العلمِ النافعِ والعملِ الصالحِ بكثرةِ الذكرِ والشكرِ وحسنِ العبادةِ.

أما كثرةُ الأكلِ فتورثُ التُّخْمَةَ والسُّمْنَةَ التي تضرُّ بالنفسِ والبدنِ، وتعوقُ صاحبها عن كثيرٍ من مصالحِ الدينِ والدنيا. وكان ذلك من فضائلِ النساءِ في زمنِ النبوةِ كما قالت عائشةُ رضي الله عنها: «وَكَانَ النِّسَاءُ إِذْ ذَاكَ خِفَافًا لَمْ يَهْبُلْنَ، وَلَمْ يَغْشَهُنَّ اللَّحْمُ، إِنَّمَا يَأْكُلْنَ الْعُلُقَةَ مِنَ الطَّعَامِ»^(٢).

فقلةُ الطعامِ شعارُ المسلم؛ لأنَّ الإسرافَ في الطعامِ مضرَّةٌ.

^(١) أخرجه الترمذي (٢٣٨٠)، وابن ماجه (٣٣٤٩)، وصححه الألباني.

^(٢) أخرجه البخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).



١٥- رَحِيلُ الْعَسْكَرِ وَرَفَقَةُ السَّفَرِ وَنَزُولُهُمْ فِي مَنْزِلٍ مَوْقُوفٍ عَلَى إِذْنِ الْأَمِيرِ سِوَاءِ أَمِيرِ الْجَيْشِ أَوْ أَمِيرِ السَّفَرِ: الْجَيْشُ نَزَلَ مَنْزِلًا يَسْتَرِيحُ فِيهِ بِإِذْنِ الْأَمِيرِ، وَرَحَلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَاكَ بِإِذْنِ أَمِيرِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَلِهَذَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا كَانَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ»^(١).

وَقَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ أَطَاعَ أَمِيرِي فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ عَصَى أَمِيرِي فَقَدْ عَصَانِي»^(٢).

١٦- كَانَتِ النِّسَاءُ قَبْلَ الْحِجَابِ تَكْشِفُ وَجْهَهَا، وَبَعْدَ الْحِجَابِ كَانَتْ تَغْطِي وَجْهَهَا مِنَ الْأَجَانِبِ: وَهَذَا مَا فَعَلَتْهُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَقَالَتْ، فَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْحِجَابَ هُوَ تَغْطِيَةُ الْمَرْأَةِ لِجَمِيعِ الْبَدَنِ بِمَا فِيهِ الْوَجْهُ وَالْكَفَّيْنِ.

وَلِهَذَا قَالَتْ: «وَقَدْ كَانَ يَرَانِي قَبْلَ أَنْ يُضْرَبَ الْحِجَابُ عَلَيَّ، فَاسْتَيْقَظْتُ بِاسْتِرْجَاعِهِ حِينَ عَرَفَنِي، فَخَمَرْتُ وَجْهِي بِجِلْبَابِي».

^(١) أخرجه أبو داود (٢٦٠٩).

^(٢) أخرجه البخاري (٧١٣٧)، ومسلم (١٨٣٥).



١٧- وجوب إغاثة الملهوف وإنقاذ الضائع وعون المنقطع:

رحل الجيش، وحملوا هودج عائشة رضي الله عنها، ووضعوه على جملها؛ ظناً أنها فيه؛ لخفة بدنّها، وانصرفوا، ولم تكن فيه، وكانت تبحث عن عقدها الضائع، فلما جاءت لم تجد أحداً، فمكثت في مكانها حتى إذا فقدوها رجعوا فوجدوها في مكانها.

فلما جاء صفوان بن المعطل رضي الله عنه وكان متأخراً عن الجيش؛ لأنه كان نائماً مكانه، وكان ثقیل الرأس، وكان إذا نام نام، فلما قدم ورأى سواد إنسان نائم، اقترب ليرى من هذا النائم؟ فوجدها أم المؤمنين عائشة، فتعجب واسترجع، فاستيقظت باسترجاعه وخمرت وجهها بجلبابها، ودنا منها، ولم يكلمها كلمة واحدة، ولم ينظر إليها نظرة، ولكنه أناخ الجمل؛ لتركب عليه، وأعطاه ظهره كي لا يراها، ولا يرى منها شيئاً، وأخذ بزمام الجمل وساقه حتى قدم على الجيش قبل المدينة، وقد فعل ذلك من باب إغاثة الملهوف، وإنقاذ الضائع، وعون المنقطع، وكان الواجب عليه أن يفعل ذلك، ولا يترك أمّه أم المؤمنين وحدها في الجبال والبراري،



فهو رجلٌ شهيمٌ نبيلٌ ذو مروءةٍ وتقوى وعدالةٍ، أدَّى ما وجبَ عليه وأحسنَ إلى أمِّ المؤمنين، وإلى نبيِّه رسولِ اللهِ ﷺ.

١٨- إكرامُ ذوي الفضلِ وإيثارُهم بالركوبِ والراحةِ وتحملِ المشقةِ لأجلِ ذلك: كما فعل صفوانُ بنُ المُعَظَّلِ السُّلَميُّ مع أمِّ المؤمنين ﷺ، نزلَ مِنْ على جملِهِ وأناخه، وجعلَهَا تَرْكَبُ، وأخذَ بزمامِ الجملِ، وساقه ماشياً وهي راكبةٌ طولَ الطريقِ.

١٩- حُسْنُ الأدبِ مع الأجنبيَّاتِ وخاصةً في الخلوةِ: فصفوانٌ لما رأى أمَّ المؤمنين ﷺ، مع كونها مُحَرَّمةً عليه على التَّأْيِيدِ وأما له كَأَمِّهِ التي ولدَتْه؛ لَكِنَّهُ مع ذلك لم يكلِّمها كلمةً، ولم ينظرْ إليها نظرةً، وفي هذا صَوْنٌ لِعِفَّتِهِ وَعِفَّتِهَا، وتقوى لله، وتعظيمٌ لِحُرْمَاتِ اللهِ تعالى.

٢٠- من الأدبِ مشيُّ الرِّجالِ أمامَ النساءِ:

أولاً: رفعاً لمنزلةِ الرجلِ.

ثانياً: لتأَمِّنَ المرأةُ من النظرِ إليها، أو إلى ما عساه أن ينكشفَ منها حالٌ مَشِيَّها.



ثالثاً: لغضُّ الطَّرْفِ عنها، وهو سبيلُ حِفْظِ الفَرْجِ وكمالِ العِفَّةِ والأمانةِ على أعراضِ الناسِ.

ومثله ما جرى لنبيِّ الله موسى ﷺ لما مشى مع ابنة الرجل الصَّالح، فإنه كان يمشي أمامها، ولم يمشِ بجوارها ولا خلفها، كما ذكره ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما في حديثِ الفتون.

٢١- ملاطفةُ الزوج لزوجته وحسنُ عشرتها والتقصيرُ في ذلك عندَ مقتضاه: فالنبيُّ ﷺ كان لطيفاً حسنَ العشرة مع عائشة رضي الله عنها، لكنَّ لما تحدَّثَ الناسُ بحديثِ الإفكِ وكان في الأمرِ شبهةٌ تغيرَ النبيُّ ﷺ معها، ولم يكنْ على الحالِ التي اعتادها منه لها، إلى أنْ أظهرَ اللهُ الحقَّ، وأنزلَ البراءةَ، فيجبُ مراعاةُ مقتضى الحالِ، ولكلِّ مقامٍ مقالٌ.

قالت عائشة رضي الله عنها: وَهُوَ يَرِيْنِي فِي وَجَعِي أَنِّي لَا أَعْرِفُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ اللَّطْفَ، الَّذِي كُنْتُ أَرَى مِنْهُ حِينَ أَشْتَكِي، إِنَّمَا يَدْخُلُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَيَسَلُّمُ، ثُمَّ يَقُولُ: «كَيْفَ تَيْكُم؟» فَذَاكَ يَرِيْنِي، وَلَا أَشْعُرُ بِالْشَرِّ.



٢٢- النبي ﷺ بشرٌ يُصِيبُهُ ما يَصِيبُ البَشَرَ من الهمِّ والحُزنِ والغمِّ والألمِ ونحوِ ذلك ولا يعلمُ الغيبَ: النبي ﷺ حين قال أهلُ الإفكِ مقالَتَهُم أَصابَهُ من الهمِّ والحُزنِ ما اللهُ بِهِ عَلِيمٌ، ولو كان يعلمُ الغيبَ لَعَلِمَ مِن أَوَّلِ الأَمْرِ أَنَّها بريئةٌ، ولكنَّه لا يعلمُ من الغيبِ إلا ما أَعَلَمَهُ اللهُ بِهِ، وأوحى بِهِ إِلَيْهِ، قال اللهُ تَعَالَى: {عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا} ٢٦ إِلَّا مَن ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ { [الجن: ٢٦-٢٧].

ولكنَّ كُلَّ هذا الهمِّ والحُزنِ ونحوِهِ لا تَأْثِيرُ لَهُ على الرِّسالةِ والبلاغِ.

٢٣- ينبغي على أهلِ المَريضِ ألا يُخْبِرُوهُ بما يَزِيدُ في مَرَضِهِ: عائشةُ رضيَ اللهُ عنها حين وَصَلَتِ المَدِينَةَ أَصابَهَا مَرَضٌ اسْتَمَرَ شَهْرًا، والناسُ يَخُوضُونَ في حَدِيثِ الإفكِ، وهي لا تَدْرِي ما يَقَالُ عَنْها، ولم يَخْبِرْها أَهْلُها حَتَّى لا يَزِيدَ مَرَضُها، إِلَى أن قَدَّرَ اللهُ تَعَالَى وَعَرَفَتِ الخَبَرَ مِن أُمِّ مِسطَحٍ، فَازدادَ مَرَضُها، حَتَّى قالَتْ: فَازدادَتْ



مرضا على مرضي، وبكت الليل والنهار، فلم يرقأ لها دمع، ولم تكتحل بنوم.

٢٤- من مراتب الهجرِ عدمُ الملاطفةِ بالكلامِ على ما كان معهوداً بين الزوجين أو الأخوين أو الصديقين ونحو ذلك: والهجرُ قد يكونُ بالخِصامِ وعدمِ الكلامِ أصلاً، كما فعلَ النبي ﷺ مع الذين تخلفوا في تبوك، وقد يكونُ بهجرِ الرجلِ لفراشِ زوجته، كما فعلَ النبي ﷺ مع أزواجه لما هجرهنَّ شهراً. وقد يكونُ في الفراشِ نفسه، إذا نشزت المرأة. فمنَ الهجرِ التغيرُ في الطبعِ بشيءٍ من الجفاءِ وعدمِ اللطفِ المعهودِ في الكلامِ كما فعلَ النبي ﷺ مع عائشة رضي الله عنها، حتى أنزل الله براءتها.

٢٥- إذا خرجتِ المرأةُ لقضاءِ حوائجها فينبغي عليها أن تصطحبَ مَنْ يُؤنسُها من قريباتها أو محارمها: كما كانت تفعلُ النساءُ عندَ خروجهنَّ في الليلِ لقضاءِ حوائجهنَّ قبلَ «المناصع».



٢٦- وجوبُ ذبِّ المسلمِ عن عرضِ أخيه المسلمِ المعروفِ
بالخيرِ والورع: مسطحُ بنُ أثاثَةَ معروفٌ بالصلاح، وهو مبشِّرٌ
بالجنة؛ إذ إنه ممن شهدَ بدرًا، فلما سبَّته أمُّه دافعت عنه عائشةُ رضي الله عنها:
«فَعَثَرْتُ أُمَّ مِسْطَحٍ فِي مِرْطِهَا، فَقَالَتْ: تَعَسَ مِسْطَحٌ فَقُلْتُ لَهَا:
بُسْ مَا قُلْتَ، أَتُسَبِّينَ رَجُلًا قَدْ شَهِدَ بَدْرًا؟».

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ رَدَّ عَنْ عَرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللَّهُ عَنْ وَجْهِهِ
النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

فالأصل: الذبُّ والدفاعُ عمن ظاهره الصلاحُ والخيرُ حتى
تثبت إدانته.

٢٧- فضيلةُ مَنْ شهدَ بدرًا: لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ عَلَى
هَذِهِ الْعِصَابَةِ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ، فَقَالَ: اَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ
لَكُمْ»^(٢)؛ أي: أن ذنوبهم مغفورةٌ إن فعلوها، وذلك فضلُ الله يؤتيه
مَنْ يشاء!

^(١) أخرجه أحمد (٢٧٥٤٣).

^(٢) أخرجه البزار في مسنده (١٩٧).



٢٨- فضيلة أمّ مسطحٍ ومحبتها لله ورسوله وأهل بيته أكثر من محبتها لولدها: فهي لم تُحَابٍ ولدها حين وقع في عائشة رضي الله عنها؛ بل كانت تُسَبِّهُ وتُشْتَمُّه وتهجره لأجل ذلك؛ بل وتُبَغِضُهُ على قدر معصيته لله تعالى ورسوله.

٢٩- وجوب التحقق والتثبت من صحة الخبر القبيح للدفاع عن النفس والعرض والمال: فلما عَلِمَتْ عائشةُ بخبر الإفك من أمّ مسطحٍ، استأذنت رسول الله في الذهاب لوالديها، وتثبتت منهم من صحة الخبر، ثم قامت بالدفاع عن نفسها مُظهرةً شديد غضبها، حتى فرَّجَ الله عنها، وأنزلَ براءتها.

٣٠- مشروعية التثبت من خبر العدل الثقة: فأُمّ مسطحٍ رضي الله عنه صحابيَّةٌ، جليلةٌ، مؤمنةٌ، تقيَّةٌ، لما أُخْبِرَتْ عائشةُ رضي الله عنها بالخبر، تثبتت عائشةُ واستوثقت، وهذا كما فعل النبي صلى الله عليه وسلم حين صَلَّى الصلاة الرباعية ركعتين، فقال له ذو اليمين: «أَقْصَرَتِ الصَّلَاةُ؟ أم نَسِيتَ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم مُتَثَبِّتًا من خبره: «أَحَقُّ مَا يَقُولُ ذُو الْيَمِينِ؟»^(١).

(١) أخرجه أحمد (٩٤٤٤).



٣١- مشروعية التسبيح عند التعجب والإنكار: قد سبّحت عائشة رضي الله عنها هنا لما سمعت ما يقال عنها مما تنكره القلوب، وتعجب له النفوس؛ تنزيهاً لله من أن يدنس عرض نبيه صلى الله عليه وسلم، والتسبيح عند التعجب أو الإنكار من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «سبحان الله، ماذا أنزل من الخزائن، وماذا أنزل من الفتن؟!»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لقيه في بعض طريق المدينة وهو جنب، فانخنست منه، فذهب فاغتسل، ثم جاء، فقال: «أين كنت يا أبا هريرة؟» قال: كنت جنباً، فكرهت أن أجالسك وأنا على غير طهارة، فقال: «سبحان الله، إن المسلم لا ينجس»^(٢).

^(١) أخرجه البخاري (٣٥٩٩).

^(٢) أخرجه البخاري (٢٨٣).



عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نَاوِلْنِي الْخُمْرَةَ مِنْ الْمَسْجِدِ»، قَالَتْ فَقُلْتُ: إِنِّي حَائِضٌ، فَقَالَ: «إِنَّ حَيْضَتِكَ لَيْسَتْ فِي يَدِكَ»^(١).

عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: إِنَّ امْرَأَةً سَأَلَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ غُسْلِهَا مِنَ الْمَحِيضِ، فَأَمَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ، قَالَ: «خُذِي فِرْصَةً مِنْ مَسِكَ، فَتَطْهَرِي بِهَا» قَالَتْ: كَيْفَ أَتَطَهَّرُ؟ قَالَ: «تَطْهَرِي بِهَا»، قَالَتْ: كَيْفَ؟، قَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ! تَطْهَرِي». فَاجْتَبَذْتُهَا إِلَيَّ، فَقُلْتُ: تَتَّبِعِي بِهَا أَثَرَ الدَّمِ»^(٢).

٣٢- وجوبُ التَّثَبُّتِ مِنْ خَيْرِ الْفَاسِقِ وَالتَّائِي فِي الْحَكَمِ عَلَى

النَّاسِ: فرسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ تَأْذِيًا بِهَذَا الْبَلَاءِ؛ فَهُوَ طَعَنٌ فِي عَرِضِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَتَعْجَلْ فِي الْحَكَمِ عَلَى أَحَدٍ؛ بَلْ تَأَنَّى وَصَبَرَ؛ لَعَلَّ اللَّهَ يُنْزِلُ فِي ذَلِكَ قَرَأَنًا أَوْ وَحْيًا يُنْهِي هَذِهِ الْقَضِيَّةَ، فَلَمَّا اسْتَلَبَتْ الْوَحْيَ اسْتَشَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصْحَابَهُ فِي عَائِشَةَ رضي الله عنها، وَاسْتَشَارَ

^(١) أخرجه مسلم (٢٩٨).

^(٢) أخرجه البخاري (٣١٤).



بعض المقرّبين منه ومن أهل بيته؛ للثبّت في أمر عائشة، فسأل أسامة وعليًا وبريرة وزينب بنت جحش، ثمّ كلّم عائشة رضي الله عنها، وقال لها: «إِنْ كُنْتَ بَرِيَّةً، فَسَيِّرْكَ اللهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمْتَ بِذَنْبٍ، فَاسْتَغْفِرِ اللهُ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ».

فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، فاستعذر من عبد الله بن أبي ابن سلول، قالت: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر: «يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي».

٣٣- استشارة البطانة الصالحة في المهمّات: في هذه الحادثة المؤلمة بعد أن صبر النبي صلى الله عليه وسلم وتأنّى في هذا الأمر قرابة شهر، استشار أسامة بن زيد رضي الله عنه وهو من أقرب الناس لقلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيته، واستشار عليًا ابن عمّه وزوج ابنته وألصق الناس به، واستشار الجارية التي تعيش مع عائشة رضي الله عنها وتخدمها، واستشار



زوجته زينب بنت جحش رضي الله عنها والتي كانت تُسامي عائشة في
المنزلة، وكلهم من أهل الورع والتقوى، فأشاروا عليه بالخير كله.
فرسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم، ومع ذلك يستشير أصحابه رضي الله عنهم
جميعاً، وهذا مصداق قوله تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}، وقوله:
{وَأْمُرْهُمْ شُورَى}.

٣٤- الحِمِيَّةُ والعَصَبِيَّةُ لله ورسوله لا تُذَمُّ: فالغيرة لدين الله
والدِّفاع عن رسول الله وشرعه وعرضه واجب على كل مسلم.
فلما استعذر النبي صلى الله عليه وسلم الناس في ابن سُلُول وغيره من المنافقين
الذين أشاعوا حادثة الإفك، قام سعد بن معاذ رضي الله عنه حِمِيَّةً وَغِيْرَةً
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرضه، وقال ما قال، فلم يُنكَرْ عليه النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك.

أما الحِمِيَّةُ والعَصَبِيَّةُ للقبيلة ونحو ذلك فهي مذمومة في غير
الحق، وسَمَّاها النبي صلى الله عليه وسلم «دعوى الجاهلية»، وأنها مُنْتِنَةٌ.

٣٥- النَّدْبُ إلى قطع الخصومةِ درءاً للفتنةِ وسدّاً لذريعة الشرِّ
والنزاعِ والقتال: لما ارتفعت الأصوات بسبب ما حصل من سعد



بن عبادة في رده على سعد بن معاذ رضي الله عنه ظل النبي صلى الله عليه وسلم يخفض الناس، ويسكتهم؛ حتى لا تكون فتنة، وذلك لاحتمال أخف الضررين بزوال أشدهما.

٣٦- جواز سب من يتعرض للباطل ويتكلم به: كما فعلت أم مسطح رضي الله عنه حين قالت: تعس مسطح؛ لما قاله في حق عائشة رضي الله عنها من قول أهل الإفك.

٣٧- فضل الصبر والبلاء وتحمل الأذى: صبرت عائشة رضي الله عنها على ما قيل في حقها، وقالت: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف: ١٨]، والصبر مثل اسمه مر مذاقه؛ لكن عواقبه أحلى من العسل، ويكفي قول الله تعالى: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ} [البقرة: ١٥٥]، وقوله: {إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ} [الزمر: ١٠].



وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَصَابَهُ خَيْرٌ فَشَكَرَ كَانَ لَهُ خَيْرٌ، وَإِنْ أَصَابَهُ شَرٌّ فَصَبَرَ كَانَ لَهُ خَيْرٌ»^(١).

٣٨- **مشروعية الاسترجاع عند المصيبة وما شابهها:** فَإِنَّ صَفْوَانَ بْنَ الْمَعْطَلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا وَجَدَ عَائِشَةَ وَحْدَهَا، وَقَدْ رَحَلَ الْجَيْشُ وَتَرَكَهَا اسْتَرْجَعَ، وَاسْتَنْكَرَ كَيْفَ تُتْرَكُ هَذِهِ؟! وَظَلَّ يَقُولُ: «إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»، حَتَّى قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «فَاسْتَيْقَظْتُ عَلَى اسْتِرْجَاعِهِ».

٣٩- **مواساة مَنْ نَزَلَ بِهِ الْبَلَاءُ:** لَمَّا أَصَابَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَا أَصَابَهَا مِنْ جَرَاءِ هَذَا الْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ، وَازْدَادَ مَرَضُهَا، وَاسْتَهَا أُمُّهَا بِكَلِمَاتٍ تَهَوَّنَ عَلَيْهَا، وَوَأَسَاها أَبُوها بَعْدَ تَصَدِيقِهِ لِمَا يَقَالُ فِيهَا، وَوَأَسَتْها أُمُّ مِسْطَحٍ، وَوَأَسَتْها الْمَرْأَةُ الَّتِي جَاءَتْ تَبْكِي بِبِكَائِهَا. وَمَوَاسَاةُ الْمُسْلِمِينَ فِي أَحْزَانِهِمْ أَوْ فِي أَفْرَاحِهِمْ مِنْ جَمِيلِ الْأَعْمَالِ الَّتِي سَنَّها لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

^(١) أخرجه مسلم (٢٩٩٩)، وأحمد (٢٣٩٣٠)، والطبراني في الأوسط (٣٨٤٩).



٤٠- ابتداءُ الكلام بحمدِ الله والثناءِ عليه والتشهدِ وقولِ «أَمَّا

بعْدُ»: كلُّ ذلك من سُنَّةِ رسولِ الله ﷺ، وهذا فعله رسولُ الله ﷺ حين كَلَّمَ عائشةَ رضي الله عنها في حديثِ الإفك حين قالت: «فَتَشْهَدُ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ حينَ جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ، يَا عَائِشَةُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً، فَسَيَرُّكَ اللهُ، وَإِنْ كُنْتَ أَلَمَمْتَ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهُ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ».

٤١- مشروعيةُ التوبةِ من جميعِ الذنوبِ: وهذا ظاهرٌ من قولِ رسولِ الله ﷺ لعائشةَ رضي الله عنها: «إِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً، فَسَيَرُّكَ اللهُ وَإِنْ كُنْتَ أَلَمَمْتَ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي اللهُ وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبٍ، ثُمَّ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ».

والتوبةُ مشروعةٌ في كلِّ وقتٍ وحينٍ، حتى تطلعَ الشمسُ من مغربِها، وحتى قبلَ سكراتِ الموتِ؛ لقولِ النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغْرَغْ»^(١)، ولقوله ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَجَّهٌ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ

^(١) أخرجه أحمد (٦١٦٠)، والترمذي (٣٥٣٧)، وحسنه الألباني.



لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^(١).

والله يقول ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

٤٢- عَظِيمُ أَدَبِ أَبِي بَكْرٍ وَأَمَّ رُومَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: حَيْثُ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ»، وَقَالَتْ كَذَلِكَ لِأُمِّهَا، وَكِلَاهُمَا كَانَ يَقُولُ: «وَاللَّهِ مَا أَذْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ»؛ أَدَبًا وَاحْتِرَامًا وَهَيْبَةً وَإِعْظَامًا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

٤٣- تَقْدِيمُ الْكَبِيرِ فِي الْكَلَامِ: فَعَائِشَةُ قَدَّمَتْ أَبَاهَا قَبْلَ أُمِّهَا حِينَ قَالَتْ: «أَجِبْ عَنِّي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ»، وَهَذَا مِنَ السُّنَّةِ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «كَبِّرِ الْكَبِيرَ»^(٢).

^(١) أخرجه مسلم (٢٧٥٩).

^(٢) أخرجه البخاري (٦١٤٢)، ومسلم (١٦٦٩).



٤٤- تبشِيرُ مَنْ تَجَدَّدَتْ لَهُ نِعْمَةٌ، واندفعتْ عَنْهُ نِقْمَةٌ: فالنبي ﷺ

حينَ أُوحِيَ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ عَائِشَةَ، وَسُرِّيَ عَنْهُ قَامَ مَسْرُورًا وَهُوَ يَضْحَكُ، وَقَالَ: «أَبْشِرِي يَا عَائِشَةُ، أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأكَ».

وهذا التبشيرُ بالخيرِ ودفعِ الشرِّ هو سُنَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فهو الذي قال: «وَبَشِّرُوا، وَلَا تُنْفَرُوا»^(١).

وقال النبي ﷺ لكعب بن مالك: «أَبْشِرْ بِخَيْرٍ يَوْمَ مَرَّ عَلَيْكَ مِنْذُ وَلَدْتِكَ أُمُّكَ»^(٢)، حينَ بَشَّرَهُ بِتُوبَةِ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَكَذَا بَشَّرَهُ الصَّحَابَةُ وَهَنُؤُهُ بِذَلِكَ.

٤٥- إِدْلَالُ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا وَوَالِدَيْهَا: وذلك حينَ أَنْزَلَ اللَّهُ بَرَاءَتَهَا، قَالَتْ لَهَا أُمُّهَا: «قُومِي إِلَيْهِ»، فَقَالَتْ: «وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ، هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ بَرَاءَتِي».

٤٦- تَدْرِيجُ مَنْ وَقَعَ فِي مَصِيبَةٍ فَزَالَتْ عَنْهُ؛ لِئَلَّا يَهْجُمَ الْفَرْجُ الشَّدِيدُ عَلَى قَلْبِهِ مَرَّةً وَاحِدَةً فَيُهْلِكَهُ: فلما جاء الفرجُ من الله ببراءة

^(١) أخرجه البخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٢).

^(٢) أخرجه البخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).



عائشة رضي الله عنها قام النبي ﷺ أولاً وهو يضحك، وفي هذا مقدمة وتهيئة للخبر السعيد، ثم بعد ذلك بشرها، ثم أعلمها ببراءتها، ثم قال لها: «يَا عَائِشَةُ أَمَّا اللَّهُ فَقَدْ بَرَّأكَ»، ثم قرأ عليها آيات البراءة من سورة النور. وقد نصَّ الحكماء على أنَّ مَنْ اشتدَّ عليه العطش لا يُمْكِنُ من المبالغة في الري؛ لئلا يُفْضِيَ به ذلك إلى الهلكة؛ بل يشرب قليلاً قليلاً.

٤٧ - الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، وكلُّ بلاءٍ في الدنيا مُنْبِتٌ: فقد اشتدَّ الكربُّ على عائشة رضي الله عنها والرسول والصديق والمسلمين، ثم جاء الله بالفرج المبين ببراءة عائشة وفضيحة المنافقين، وبراءة صفوان بن المعطل رضي الله عنه، وكلُّ بلاءٍ له مدَّةٌ محدَّدةٌ بقدر الله، ثم ينتهي بحمد الله.

قال النبي ﷺ: «وَاعْلَمَ أَنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى مَا تَكَرَّرَ خَيْرًا كَثِيرًا، وَأَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الْفَرَجَ مَعَ الْكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا»^(١).

^(١) أخرجه أحمد (٢٨٠٣).



٤٨ - **فضل اليقين بالله وحسن الظن به:** فعائشة رضي الله عنها كانت على يقين بالله، وكانت حسنة الظن بربها؛ أنه سبحانه سينزل براءتها، وذلك حين كلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتكلمت هي الأخرى، ثم قالت: «والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف: { **فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ** } [يوسف: ١٨]، قالت: «ثم تحولت، فاضطجعت على فراشي»، قالت: «وأنا، والله حينئذ أعلم أنني بريئة، وأن الله مبرئي براءتي»، فكانت رضي الله عنها على ثقة بالله أن الله مبرؤها، وبخاصة بعد أن قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً، فَسَيِّرْكَ اللَّهُ**».

٤٩ - **البريء سيبرؤه الله من فضله وكرمه:** قال النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: «**فَإِنْ كُنْتَ بَرِيئَةً، فَسَيِّرْكَ اللَّهُ**»، وقد أنزل الله براءتها من فوق سبع سموات في آيات تكتب في المصاحف، وتحفظ في الصدور، وتتلّى في المحارب إلى يوم القيامة، وهذه سنة الله مع أهل الصلاح والبراءة، فهذا يوسف الصديق اتهموه بما ليس فيه، فأظهر الله له البراءة، وأعلى له المقام، وآتاه النبوة والرسالة،



وجعله على خزائن الأرض، وجعله المكين الأمين، وجمع له أهله، وخرُّوا له سُجَّدًا، ورفعَ عليهم جميعًا.

وهذا موسى عليه السلام اتَّهمه بنو إسرائيل بأنه آدرُ - أي: مريضٌ بانتفاخ الخُصيتين - لشدة تَسْتُرِهِ عنهم وعدم كَشْفِ عورته أمامهم، فَبَرَّاهُ الله تعالى مِنْ قَوْلِهِمْ، قال سبحانه: {يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ۝٦٩} [الأحزاب: ٦٩].

وهذا جُرِيحُ العابد، اتَّهموه ظلمًا بما ليس فيه، فأظهر الله براءته، وأنطق له الغلام الرضيع، ورفع مقامه، وأعلى شأنه، وخلد ذكره في السُّنة المُطَهَّرة.

٥٠ - **فضل تفويض الأمر إلى الله:** مَنْ فَوَّضَ أمره إلى الله، وتوكل عليه وحده، واستغنى عَمَّن سِوَاهُ، كفاه الله وحماه، قال الله تعالى: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ}؛ أي: هو كافيهِ.

قال سبحانه: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۝٣٦} [الزمر: ٣٦].



فعائشة رضي الله عنها فَوَضَّتْ أَمْرَهَا إِلَى اللَّهِ وَحَدَّه، وَقَطَعَتْ رَجَاءَهَا فِي غَيْرِهِ، فَلَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، لَمْ تَكِلْ أَمْرَهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَا إِلَى أَبِيهَا الصَّدِيقِ، وَلَا أُمِّهَا، وَلَا لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ، وَإِنَّمَا فَوَضَّتْ أَمْرَهَا إِلَى اللَّهِ، وَقَالَتْ كَمَا قَالَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَتَأَسِّيَّةً بِهِ: { فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } [يوسف: ١٨]، فَتَوَلَّى اللَّهُ أَمْرَهَا، وَرَفَعَ قَدْرَهَا، وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ، وَجَعَلَ فَضْلَهَا عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ.

٥١- الْحَثُّ عَلَى الصَّدَقَةِ وَالْإِنْفَاقِ عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ:

فَالصَّدَقَةُ عَلَى الْبَعِيدِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى الْقَرِيبِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أَثَاثَةَ، فَلَمَّا حَصَلَ مِنْ مِسْطَحٍ مَا حَصَلَ أَقْسَمَ أَبُو بَكْرٍ أَلَّا يُنْفِقَ عَلَيْهِ، فَحَثَّهُ اللَّهُ عَلَى إِدَامَةِ الصَّدَقَةِ؛ لِأَنَّهُ مَسْكِينٌ وَذُو رَحِمٍ، وَأَمْرُهُ بِالْعَفْوِ وَالصَّفْحِ، فَقَدْ أَخَذَ جَزَاءَهُ، وَأُقِيمَ عَلَيْهِ حَدُّ اللَّهِ، وَقَدْ وَرَدَ فِي فَضْلِ الصَّدَقَةِ وَالْإِنْفَاقِ النُّصُوصُ الْكَثِيرَةُ فِي الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ.



٥٢- العفو المقرون بالإصلاح عن المسيء هو المأمور والمندوب إليه: قال الله تعالى: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} [الشورى: ٤٠]، ومسطح بن أثاثة رضي الله عنه أساء لأبي بكر وابتته رضي الله عنه بعد فضل أبي بكر عليه، فأقسم أبو بكر ألا يُنفق عليه، فحث الله أبا بكر على العفو عن المسيء؛ لأنه صلح حاله بعد الإساءة بإقامة حد القذف عليه بالجلد ثمانين جلدة، فعفا عنه أبو بكر، وأعاد النفقة عليه طاعة لله ورسوله، ورجاء في مغفرة الله له.

أما العفو الذي لا يترتب عليه إصلاح الجاني فلا قيمة له؛ بل يزيد الجاني طغياناً.

٥٣- مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيُكْفِرْ عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَفْعَلِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ: حلف أبو بكر الصديق ألا يُنفق على مسطح بن أثاثة لوقوعه في عرض عائشة بنت أبي بكر، وقد أظهر الله براءة عائشة رضي الله عنها، فأقسم أبو بكر أن يمنع عنه النفقة، فأنزل الله قوله: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى



الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا
أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾ [النور: ٢٢].

فَكَفَّرَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه عَنْ يَمِينِهِ، وَأَعَادَ النِّفْقَةَ إِلَى مِسْطَحٍ مَرَّةً
أُخْرَى، وَهَذَا مِصْدَاقُ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ،
فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَلْيُكْفِرْ عَنْ يَمِينِهِ»^(١).

٥٤- جواز الاستشهاد بأي القرآن وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم عند
النوازل وفي مواضعها: فقد فعلت عائشة رضي الله عنها ذلك في حضرة النبي
صلى الله عليه وسلم وقالت: «وَاللَّهِ مَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ:
{ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ } [يوسف: ١٨]،
فاستعانت على حالها وما هي فيه من البلاء بالصبر الجميل والثقة
بالله وحسن الظن به، واستشهدت بقول يعقوب عليه السلام لأبنائه
عند مُصَابِهِ بِيُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٥٥- التأسى بالأكابر من الأنبياء والصالحين وما وقع لهم من
البلاء: وكيف صبروا واحتسبوا، وفوضوا أمرهم إلى الله، وقد فرج

^(١) أخرجه مسلم (١٦٥٠).



الله عنهم بعد الكرب، ويسر بعد العسر، ففي قصصهم عبرة لأولي الألباب.

٥٦- المنافقون هم المنافقون في كل زمان ومكان: المنافقون لهم أعظم الدور في تنغيص حياة أهل الإيمان بالإفك والبهتان وتربص الدوائر بالمؤمنين، وإصابة أهل الإيمان بالهم والحزن. فالمنافقون هم أهل الحقد والحسد على المؤمنين، وهم الذين يفسدون الناس على الدعاة والعلماء والمصلحين، وهم أخبث في كفرهم وحقدهم من اليهود والنصارى الظاهرين.

فهم عدو خفي، قال الله تعالى عنهم: {وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزَءُونَ} [البقرة: ١٤].

وهم الذين في قلوبهم مرض الكفر والشك والحقد والنفاق، {فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} [البقرة: ١٠].



٥٧- مَنْ شَكَّ فِي بَرَاءَةِ عَائِشَةَ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ، وَكَافِرٌ بِرَسُولِهِ،
وَكَافِرٌ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ: لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَرَّأَهَا فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ
وَالْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ، فَمَنْ أَنْكَرَ ذَلِكَ فَقَدْ كَذَّبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ.
قال ابن عباس رضي الله عنهما: «لَمْ تَزِنْ امْرَأَةَ نَبِيِّ قَطُّ».

الدليل على كفر مَنْ قَذَفَ عَائِشَةَ بِالْفَاحِشَةِ:

١- أَنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا قَدْ صَرَّحَ بِبَرَاءَتِهَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، كَمَا وَرَدَ
فِي آيَاتِ سُورَةِ النُّورِ، وَكَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ مُحَلِّ الْبَحْثِ عَنِ النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنْ اتَّهَمَهَا بِالزَّنا بَعْدَ أَنْ بَرَّأَهَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَهُوَ مُكَذِّبٌ لِلَّهِ
وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَذَّبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَهُوَ كَافِرٌ بِالْإِجْمَاعِ، لَا شَكَّ فِي
كُفْرِهِ وَنِفَاقِهِ وَزَنْدَقَتِهِ.

٢- أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهِيَ أَحَبُّ
النَّاسِ إِلَيْهِ، وَأَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَزْوَاجِهِ، فَمَنْ طَعَنَ فِيهَا فَقَدْ آذَى النَّبِيَّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَمَنْ آذَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ كَفَرَ بِالْإِجْمَاعِ،
وَقَدْ مَضَى فِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ مِنْ يَوْمِهِ، فَاسْتَعَذَرَ مِنْ
رَأْسِ الْمُنَافِقِينَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ: يَا



مَعَشَرَ الْمُسْلِمِينَ، مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ رَجُلٍ قَدْ بَلَغَ أَذَاهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي؟!
فوالله ما عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا!

فدل ذلك على أن النبي ﷺ قد تَأَذَّى بذلك تأذياً شديداً، ولهذا
قال القرطبي رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: {يَعْظُمُ اللَّهُ
أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [النور: ١٧]: يعني في
عائشة، لما في ذلك من أذية لرسول الله في عِرْضِهِ وَأَهْلِهِ، وذلك كفر
مِنْ فاعله^(١). اهـ.

وقد قال الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا} [٥٧] وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَنَا وَإِثْمًا
مُبِينًا} [الأحزاب: ٥٧].

٣- أَنَّ الطعنَ في أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها يستلزم الطعنَ في النبي
ﷺ؛ لأنَّ الله قال: {الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٢/٢٠٥).



وَالطَّيِّبَتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ [النور: ٢٦].

قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآية: أي: ما كان الله ليجعل عائشة زوجة للنبي إلا وهي طيبة؛ لأنه ﷺ أطيّب من كل طيب من البشر، ولو كانت خبيثة لما صلحت له شرعاً ولا قدراً.

٤- سئل النبي ﷺ: أي الناس أحب إليك؟ قال: «عائشة». فقلت: من الرجال؟ فقال: «أبوها». قلت: ثم من؟ قال: «ثم عمر بن الخطاب»، فعَدَّ رجالاً.

فمن أبغض عائشة رضي الله عنها ورمأها بالبُهتان فقد كَذَب رسول الله ﷺ، ومن كَذَب رسول الله فقد كفر.

٥- إجماع أهل السنة على كفر من رمى عائشة رضي الله عنها بالزنا؛ قال الحافظ ابن كثير في تفسير آيات الإفك من سورة النور: أجمع العلماء قاطبة على أن من سبها بعد هذا الذي ذُكر في هذه الآية فإنه كافر؛ لأنه مُعانِدٌ للقرآن^(١).

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٣١-٣٢).



وقال ابن قدامة المقدسي: فَمَنْ قَذَفَهَا بِمَا بَرَّأَهَا اللَّهُ مِنْهُ فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ.

وقال الإمام النووي: براءة عائشة من الإفك، وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز، فلو تشكك فيها إنسان - والعياذ بالله - صار كافراً مرتداً بإجماع المسلمين^(١).

وقال ابن القيم: وَاتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ عَلَى كُفْرِ قَاذِفِهَا^(٢).

قال ابن عثيمين: أجمع العلماء على أن مَنْ رَمَى أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ بِمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الْإِفْكِ فَإِنَّهُ كَافِرٌ مُرْتَدٌّ.

وقال: كُلُّ مَنْ رَمَى زَوْجَةً مِنْ زَوَاجَاتِ الرَّسُولِ بِمَا بَرَّأَ اللَّهُ مِنْهُ عَائِشَةَ فَإِنَّهُ يَكُونُ كَافِرًا مُرْتَدًّا، يَجِبُ أَنْ يُسْتَتَابَ، فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ بِالسِّيفِ، وَأُلْقِيَ جِيفَتُهُ فِي حَفْرَةٍ مِنَ الْأَرْضِ بِدُونِ تَغْسِيلٍ وَلَا تَكْفِينٍ وَلَا صَلَاةٍ؛ لِأَنَّ الْأَمْرَ خَطِيرٌ^(٣).

^(١) شرح النووي لصحيح مسلم (١٧/١١٧).

^(٢) زاد المعاد (١/١٠٣).

^(٣) شرح رياض الصالحين (٣/١٣).



وَمَنْ يَطْعَنُ فِي أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةَ فِي هَذَا الزَّمَانِ وَيَرْمِيهَا
بِالْبُهْتَانِ الشَّيْعَةِ الرَّافِضَةِ شَيْعَةَ إِيرَانَ وَالْعِرَاقِ وَحِزْبِ اللَّهِ الرَّافِضِيِّ
فِي لُبْنَانَ وَالْحَوْثِيِّ فِي الْيَمَنِ، وَكُلُّ مَنْ دَانَ بِدِينِهِمْ، فَهُمْ كَفَّارٌ ضَلَّالٌ!
٥٨ - جُرِيْمَةُ الزَّنا لَا تُثَبَّتُ إِلَّا بِوَاحِدٍ مِنْ ثَلَاثَةٍ:

أ- الاعتراف والإقرار: كما أقرَّ واعترفَ ماعزُ الأَسْلَمِيِّ على
نَفْسِهِ ﷺ، وكما اعترفتِ المرأةُ الغامِديَّةُ ﷺ، وأقرَّتْ على نَفْسِهَا،
والإقرارُ حُجَّةٌ مقصورةٌ على المُقرِّ فقط، ولا يتعدَّى إلى غيره إلا
إذا أقرَّ الطرفُ الثاني، كما في حديثِ الشابِّ العَسِيفِ والمرأةِ التي
أقرَّتْ على نَفْسِهَا عِنْدَ سُؤْلِهَا.

فأقامَ النَّبِيُّ ﷺ الحَدَّ عليهم باعترافهم على أنفسهم.

ب- الحَبْلُ: إذا ظَهَرَ الحَمْلُ على الْبَكْرِ أو الشَّيْبِ التي لا زوجَ
لها، فهذا دليلُ زَنَى، وهو حُجَّةٌ على إقامةِ الحَدِّ ما لم يَكُنْ نَتِيجَةُ
إِكْرَاهٍ أو نَتِيجَةُ إغْمَاءِ المرأةِ وتَخْدِيرِهَا بِأَيِّ وَسِيلَةٍ وبدونِ عِلْمِهَا.

ج- البَيِّنَةُ: بشهادةِ أَرْبَعِ شُهَدَاءِ ذُكُورٍ عَدُولٍ رَأَوْا واقعةَ الزَّنى بِأَمٍّ
أَعْيَنَهُمْ، أما إذا كان الشَّهَدُ غَيْرَ عَدُولٍ، أو كانوا أَقَلَّ مِنْ أَرْبَعٍ، أو



كانوا نساءً، أو لم يَرَوْا الواقعةَ بأعينهم، أو لم يَرَوْا الزَّنى الحقيقيَّ المعروفَ، فيُجلِّدون جميعاً، لكلٍّ منهم ثمانون جلدةً.

٥٩- مَنْ وَقَعَ فِي قَذْفٍ مُحْصَنٍ أَوْ مُحْصَنَةٍ جُلِدَ ثَمَانِينَ جَلْدَةً، وَأُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ؛ وَلَوْ كَانَ مِنَ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ، أَوْ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْمَخْلُصِينَ الْمَوْحَّدِينَ: فَقَدْ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِجَلْدِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ وَمِسْطَحِ بْنِ أَثَاثَةَ وَحَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ ثَمَانِينَ جَلْدَةً، مَعَ كَوْنِهِمْ مِنْ أَصْحَابِهِ الْمُخْلَصِينَ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ.

روى الإمام أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لَمَّا نَزَلَ عُذْرِي، قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَذَكَرَ ذَلِكَ، وَتَلَا الْقُرْآنَ، فَلَمَّا نَزَلَ أَمَرَ بِرَجُلَيْنِ وَامْرَأَةٍ، فَضْرَبُوا حَدَّهُمْ»^(١).

وعنها رضي الله عنها قالت: فَضْرَبُوا حَدَّهُمْ ثَمَانِينَ ثَمَانِينَ وَهُمْ الَّذِينَ تَوَلَّوْا كِبَرَ ذَلِكَ، وَقَالُوا بِالْفَاحِشَةِ؛ حَسَّانُ، وَمِسْطَحٌ، وَحَمْنَةُ^(٢).

^(١) أخرجه أحمد (٢٤٠٦٦)، وأبو داود (٤٤٧٤)، وحسنه الألباني.

^(٢) شرح مشكل الآثار (٢٩٦٣).



٦٠- توبة صاحب البُهتان والإفك أن يندم على ما قاله، وأن يتحلل ممن رماه بالباطل، وأن يُثني عليه بالخير، وأن يُكذِّب نفسه: وهكذا فعل حسان بن ثابت رضي الله عنه، فقد كَذَّب نفسه وجُلِدَ ثمانين جلدةً، وأثنى على عائشة خيراً، وسامحته وعَفَتْ عنه.

فقد روى البخاريُّ عن عائشة رضي الله عنها قالت: «جاء حسان بن ثابتٍ يستأذنُ عليها، قلتُ: أتأذنين لهذا؟ قالت: أوليس قد أصابه عذابٌ عظيمٌ! قال سفيان: تعني ذهاب بصره. فقال:

حَصَانُ رَزَانٌ مَا تُزَنُّ بِرِيَّةٍ * وَتُصْبِحُ غَرْنَى مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ
قَالَتْ: «لَكِنْ أَنْتَ».

أي: هي عفيفة عاقلة رزينة ما تُتَهَمُ بريئة، وتصبح جائعة عن لحوم الناس؛ أي: عفيفة اللسان لا تغتاب أحداً، فهي التقية العفيفة، وذكر ابن إسحاق في سيرته بقية القصيدة في الثناء عليها.



فقال حسان في بقية مدحه لأم المؤمنين رضي الله عنها:

حَصَانُ رِزَانُ مَا تُزَنُّ بِرِيَّةٍ * وَتُصْبِحُ غَرْثِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ
حَلِيلَةُ خَيْرِ النَّاسِ دِينًا وَ مَنْصِبًا * نَبِيِّ الْهُدَى وَالْمَكْرُمَاتِ الْفَوَاضِلِ
عَقِيلَةُ حَيٍّ مِنْ لُؤَيٍّ بْنِ غَالِبٍ * كِرَامِ الْمَسَاعِي مَجْدُهُمْ غَيْرُ زَائِلِ
مُهَذَّبَةٌ قَدْ طَيَّبَ اللَّهُ خِيَمَهَا * وَطَهَّرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطِلِ
رَأَيْتُكَ وَلَيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ حُرَّةً * مِنَ الْمُحْصَنَاتِ غَيْرِ ذَاتِ غَوَائِلِ
العقيلة من النساء: الكريمة الطيبة ذات الدين والشرف.

الخيم: هو الأصل؛ أي: طيب الله أصلها.

ولهذا كانت عائشة لا تقبل سب حسان لعظيم توبته، فقد روى البخاري رحمه الله عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: ذهبت أسب حسان عند عائشة، فقالت: لا تسبه؛ فإنه كان ينافح عن النبي صلوات الله وسلامه ^(١).

صلوات الله وسلامه ^(١).

^(١) أخرجه البخاري (٣٥٣١).



وقالت: اسْتَأْذَنَ حَسَّانُ النَّبِيِّ ﷺ فِي هِجَاءِ الْمُشْرِكِينَ، قَالَ:
كَيْفَ بِنَسَبِي؟ فَقَالَ حَسَّانُ: لَا أَسْلَنَّاكَ مِنْهُمْ كَمَا تُسَلُّ الشَّعْرَةَ مِنْ
الْعَجِينِ^(١).

٦١- وفيه قبولُ توبةِ القاذفِ: كتوبةِ حَسَّانَ وَمِسْطَحٍ وَحَمْنَةَ بِنْتِ
جَحْشٍ، فقد تابوا توبةً نصوحًا.

٦٢- فضيلةُ خُلُقِ الْوَرَعِ: الورعُ يَحْمِي صاحبه مِنَ السَّقْوَطِ فِي
المهالكِ، فيَحْمِلُهُ عَلَى عِفَّةِ اللِّسَانِ والبَطْنِ والفَرْجِ والسمعِ
والبَصَرِ، وعلى أَنْ يَكُونَ بَعِيدًا عَنِ الْمَشْبُوهِ والمَكْرُوهِ والحَرَامِ.
فهذه زَيْنُبُ بِنْتُ جَحْشٍ ضَرَّةُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، والتي تُسَاوِيهَا فِي
الْمَنْزِلَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي النَّسَبِ وَالْحَسَبِ، لَمَّا سَأَلَهَا
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَمَّا يَقُولُ الْأَفَّاكُونَ فِي حَقِّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَثَنَتْ عَلَى
عَائِشَةَ بِالْخَيْرِ، وَلَمْ تَطْعَنْ فِيهَا بِحَالٍ، وَشَهِدَتْ بِبِرَائَتِهَا وَخَيْرَتِهَا،
وَدَافَعَتْ عَنْهَا، وَمَا حَمَلَهَا عَلَى ذَلِكَ إِلَّا التَّقْوَى وَالْوَرَعُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣١).



قالت عائشة: وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْأَلُ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ عَنْ أَمْرِي، فَقَالَ: «يَا زَيْنَبُ، مَا عَلِمْتَ؟ مَا رَأَيْتِ؟»، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَحْمِي سَمْعِي وَبَصْرِي، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَيْهَا إِلَّا خَيْرًا، قَالَتْ: وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ تُسَامِينِي، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالْوَرَعِ. وَطَفِقتُ أختها حَمْنَةَ تَتَكَلَّمُ بِمَا يَقَالُ، فَهَلَكَتْ فِيمَنْ هَلَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْإِفْكِ.

فَمَعَ كُونِ حَمْنَةَ بِنْتِ جَحْشٍ أختِ زَيْنَبَ تَطْعَنُ فِي عَائِشَةَ؛ تَعْصِبًا لِأختها زَيْنَبَ لَتَنْتَقِصَ مِنْ شَأْنِ عَائِشَةَ، وَتُعْلِي مِنْ قَدْرِ أختها، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ تُقَرِّهَا زَيْنَبُ عَلَى ذَلِكَ؛ بَلْ كَذَّبَتْ أختها، وَشَهِدَتْ بِالْحَقِّ، الَّذِي تَعْلَمُهُ مِنْ عَفَةِ عَائِشَةَ وَخَيْرَتِهَا، وَهَكَذَا يَفْعَلُ الْوَرَعُ بِأَهْلِهِ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾} [المائدة: ٨].



٦٣- فضل رجال ونساء الصحابة وحسن ظنهم بعرض رسول

الله ﷺ: قال الصحابة عندما سمعوا هذا الإفك: «سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا، سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ»^(١).

قالت: فأنزل الله ﷻ: {وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ} [النور: ١٦]؛ أي: نَزَّهَ اللهُ أَنْ يَخْتَارَ لِنَبِيِّهِ امْرَأَةً غَيْرَ صَالِحَةٍ، أَوْ أَنْ يُدَنِّسَ عَرْضَ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

لقد روى البخاريُّ عن عائشة رضي الله عنها: أن رجلاً من الأنصار عندما سمع هذه الفرية قال: «سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا، سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ».

هو أبو أيوب الأنصاريُّ كما ذكره الحافظُ في «الفتح» وأخرجه الحاكم^(٢).

روى ابنُ إسحاق في «السيرة»:

^(١) أخرجه البخاري (٧٣٧٠).

^(٢) فتح الباري (٤٧٠ / ٨).



أَن أَبَا أَيُّوبَ خَالِدَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أُمُّ أَيُّوبَ: يَا أَبَا أَيُّوبَ، أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّاسُ فِي عَائِشَةَ؟ قَالَ بَلَى، وَذَلِكَ الْكَذِبُ، أَكُنْتُ يَا أُمُّ أَيُّوبَ فَاعِلَةً ذَلِكَ؟ قَالَتْ: لَا وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَفْعَلُهُ قَالَ: فَعَائِشَةُ خَيْرٌ مِنْكَ قَالَتْ: فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ الْقُرْآنَ ذَكَرَ اللَّهُ مَنْ قَالَ مِنْ أَهْلِ الْفَاحِشَةِ مَا قَالَ وَمِنْ أَهْلِ الْإِفْكِ فَقَالَ: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ} ^(١).

٦٤- وجوب العدل بين الزوجات: لقول الله تعالى: {فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا} [النساء: ٣]، فَيُشْتَرَطُ فِيمَنْ يُعَدُّ الزَّوْجَاتِ شَرْطَانِ: الْقُدْرَةُ عَلَى التَّعَدُّدِ، وَالْعَدْلُ بَيْنَ الزَّوْجَاتِ فِي الْمَبِيتِ وَالنَّفَقَةِ.

وأما الميلُ القلبيُّ فلا يملكه إلا الله؛ لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: {وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ

^(١) تاريخ المدينة لابن شبة (١/ ٣٣٥).



فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا
رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾ [النساء: ١٢٩].

وقال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا، جَاءَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ»^(١).

ولهذا كان النبي ﷺ حريصاً على العدل بين نسائه في المبيت
والكسوة وفيما يملكه مما كلفه الله به.

وكان ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فمن خرج سهمها
خرجت معه، وذلك لئلا يظلم منهن أحداً.

٦٥- وجوب الدفاع عن رسول الله ﷺ وأزواجه وأصحابه:

فالذي دافع عن عرض رسول الله ﷺ وعن براءة عائشة هو الله
العلي العظيم من فوق سبع سموات، وبرأ صفوان بن المعطل،
وكذا دافع الصحابة عن عائشة وعن صفوان رضي الله عنهم، وأثنوا عليهما
بالخير كله.

^(١) أخرجه أبو داود (٢١٣٣)، وصححه الألباني.



٦٦- الحكمةُ في تأخُرِ الوحي ببراءةِ عائشةَ رضي الله عنها: لنعلم أنَّ النبيَّ

محمدًا صلَّى الله عليه وآله وسلم بشرٌ، ولا يملكُ لنفسِه نفعًا ولا ضرًّا إلا ما شاء الله.

ولنعلم أنَّ النبيَّ صلَّى الله عليه وآله وسلم لا يعلمُ الغيبَ، ولا يعلمُ منه إلا ما أوحاه

اللهُ إليه. ولنعلمَ مدى صبرِه على البلاءِ صلَّى الله عليه وآله وسلم.

ولنعلم أنَّ القرآنَ كلامُ الله وحده، فلو كان من كلامِ محمدٍ صلَّى الله عليه وآله وسلم

لتعجَّلَ بإظهارِ براءةِ زوجتِه لِمَا يَعْلَمُه من براءتِها وعفَّتِها.

٦٧- التوقُّفُ عندَ أمرِ الله بالطاعةِ، وإن كانت مخالفةً لرغبةِ

الإنسانِ وهواه: فهذا أبو بكرٍ حلفَ ألا يُنفقَ على مسطحٍ رضي الله عنه

لإِسَاءتِه إلى أبي بكرٍ وابنتِه، فحَثَّه اللهُ وَجَّهَ أن ينفقَ ويتصدَّقَ، فقدمَ

أمرَ الله على رغبته وهواه، وهذا هو حالُ المؤمنين الصادقين.

٦٨- كثرةُ مؤامراتِ المنافقين لإحداثِ الفتنةِ في المجتمعِ

المسلمِ والنَّيلِ من دينِ الإسلامِ ورسولِ الإسلامِ وأهلِ بيته، وعدمِ

مَلَلِهِم من ذلك؛ مع كثرةِ فضيحةِ الله لهم: ففي أثناءِ الرجوعِ من



غزوة المُرَيْسِعِ حاولَ المنافقون إثارة النَّعْرَةِ الجاهلية لِإيقاع الخلافِ والفرقة بينَ المسلمين، وقد وأدَّها النبي ﷺ^(١).

فلجؤوا إلى الإفكِ والبُهتانِ في عرضِ رسولِ الله ﷺ للطَّعنِ في دينهِ والتشكيكِ في نبوتِهِ ﷺ، ففضَّحَهُم اللهُ، وبرَّأ عِرْضَ نبيِّهِ ﷺ.

٦٩- جوازُ تأخُّرِ بعضِ الجيشِ لحاجةٍ تَعْرِضُ لَهُ، إذا لم تَكُنْ هناك ضرورةٌ إلى الاجتماعِ: عن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أن صفوانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَجْعَلَهُ عَلَى السَّاقَةِ، فَجَعَلَهُ، فَكَانَ إِذَا رَحَلَ النَّاسُ أَقَامَ يُصَلِّي، ثُمَّ اتَّبَعَهُمْ، فَمَا سَقَطَ مِنْهُمْ مِنْ شَيْءٍ حَمَلَهُ حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ أَصْحَابَهُ^(٢).

^(١) أخرج البخاري (٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤)، من حديث جابر رضي الله عنه، قال: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَكَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لَأَنْصَارٍ! وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لَلْمُهَاجِرِينَ! فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا بَالُ دَعْوَى الْجَاهِلِيَّةِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَسَعَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، رَجُلًا مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ: «دَعُوهَا، فَإِنَّهَا مُتِنَةٌ».

^(٢) «المعجم الكبير» للطبراني (١٦٤).



وفي مرسلٍ مقاتِلٍ بنِ حَيَّانَ: «فيحمله فيقدم به فيعرفه في أصحابه»، وكذا في مرسلٍ سعيد بن جبير.

ومن ذلك يتبين سبب تأخر صفوان عن الجيش.

وفيه جواز استعمال بعض الجيش ساقه، وأن يكون أميناً يحمل الضعيف، ويحفظ ما يسقط، ولغير ذلك من المصالح، كما كان حال صفوان بن المعطل رضي الله عنه.

٧٠- الحسدُ مرضٌ يحملُ صاحبه على الكفرِ والفجورِ والكذبِ والغيبةِ والنميمةِ والبهتانِ وعلى كلِّ قبيحٍ: فالذي دفع رأسَ المنافقين عبدَ الله بنَ أبي ابنِ سلولٍ على اتِّهامِ أمِّ المؤمنين عائشةَ بالإفك؛ بسببِ حقه وحسده لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم. وهكذا يفعلُ الحسدُ بأهله.

٧١- النومُ لطفٌ من الله بعبدِه: فقد أرسلَ اللهُ النومَ على الصحابةِ في غزوةِ بدرٍ أمانةً منه وفضلاً، قال الله تعالى: {إِذْ يُغَشِّيكُمُ اللَّعَاسُ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنْزِلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً



لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ [الأنفال: ١١].

وهنا ألقى الله النوم على عائشة رضي الله عنها لطفاً منه؛ لتستريح من وحشة الانفراد في البرية بالليل.

٧٢- **فضيلة الإيثار:** فقد أثنى الله على الأنصار؛ لأنهم {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}، وهنا أثر صفوان أمه عائشة رضي الله عنها بالركوب على الجمل، وقاده أمامها.

٧٣- **جواز الحلف من غير استحلاف:** حيث قالت عائشة رضي الله عنها: «وَاللَّهِ مَا كُنْتُ أَظُنُّ أَنَّ اللَّهَ مُنْزِلٌ فِي شَأْنِي وَحِيًّا يُتْلَى».

قالت: «فَوَاللَّهِ مَا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم مَجْلِسَهُ، وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ، حَتَّى أَنْزَلَ عَلَيْهِ».

وتعلمت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان يحلف أحياناً لتأكيد أمر فيقول: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ» ونحو ذلك.

٧٤- **يُستحبُّ أن يُسترَ عن الإنسان ما يقال فيه من الباطل إذا لم يكن في ذكره فائدة أو كان في ذكره ضررٌ عليه:** كما كتموا هنا عن



عائشة رضي الله عنها ما قيل فيها من الإفك والبُهتانِ شهرًا، ولم تسمع بذلك إلا بعارضٍ عَرَضَ، وهو قولُ أمِّ مِسطَحٍ: «تَعِسَ مِسطَحٌ».

٧٥- استحبابُ السؤالِ عن المريضِ: فكان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم مع ما هو فيه من الكربِ في عائشة، كان يدخلُ عليها، ويقول: «كَيْفَ تَيْكُمُ؟»، وكذا غيرُه من أهلِها، كانوا يدخلون عليها يسألون عنها.

٧٦- كراهة الإنسانِ لصاحبه أو قريبه إذا آذى أهلَ الفضلِ من العلماءِ والصالحين وأهلَ بيتِ النبي صلى الله عليه وسلم الطاهرين: فقد دَعَتْ أمُّ مِسطَحٍ على ولدها، وكرهته لِمَا قال في عائشة ما قال.

٧٥- جوازُ البحثِ والسؤالِ عن الأمورِ المسموعةِ ممَّنْ له تعلقٌ بها: أمَّا غيرُه فهو منهيٌّ عنه؛ بل هو من التجسسِ والفضولِ، قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَغْنِيهِ»^(١).

٧٦- جوازُ خُطبةِ الإمامِ الناسَ عندَ نزولِ وحلولِ أمرٍ مهمٍّ: كما خطَبَ الناسَ في شأنِ الإفكِ وابنِ سَلُولَ لعنةُ الله عليه.

^(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٣٥٩)، وابن ماجه (٣٩٧٦)، وصححه الألباني.



وجواز شكاية ولي الأمر إلى المسلمين مَنْ تعرّض له بأذى في نفسه أو أهله ونحو ذلك، واعتذاره فيما يريد أن يؤذيه به ويعاقبه.

٧٧- فضائل صفوان بن المعطل رضي الله عنه وثناء النبي صلى الله عليه وسلم عليه

وشهادته له بما شهد: وبفعله الجميل مع أم المؤمنين رضي الله عنها في إركابها الجمّل، وحسن أدبه، وكمال عفته، وسابقة إسلامه، فإسلامه قديم كان قبل الحجاب.

وشهادة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها له بالعفة والفضل، وهو أحد المهاجرين والأنصار الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه.

٧٨- من الأدب تفويض الكلام إلى الكبار دون الصغار؛ لأنهم

أعرف وأخبر: كما فعلت عائشة رضي الله عنها حين تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم،

ف قالت لأبيها: «أجب رسول الله»، ثم قالت لأُمّها: «أجيب رسول

الله»، ثم تكلمت بعدهم بالأدب الجَمِّ، رضي الله عنهم أجمعين!

٧٩- تجديد شكر الله تعالى عند تجدد النعم وإزالة النقم: كما

فعلت عائشة رضي الله عنها في حمدِها وشكرِها لله العليّ الكبير عند نزول

برائتها من فوق سبع سموات.



٨٠- استحباب صلة الأرحام وإن كان مُسيئاً: فمع إساءة مسطح بن أثاثه لأبي بكر وابنته، إلا أن الله ندب أبا بكر إلى صلة مسطح والإنفاق عليه، وقد قال النبي ﷺ: «صِلْ مَنْ قَطَعَكَ»^(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رجلاً قال: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصْلَهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسْفَهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللَّهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»^(٢).

٨١- إكرام المحبوب بمراعاة أصحابه ومن خدّمه أو أطاعه: كما فعلت عائشة رضي الله عنها بمراعاة حسان بن ثابت وإكرامه؛ إكراماً للنبي ﷺ، فإن حسان صاحب رسول الله ﷺ وآمن به، وناصح عنه وعن عرضه وخدمته في الحضر والسفر.

وكما فعل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حين لقي ابن صديق أبيه عمر، فأكرمه وأهداه الدابة والعمامة؛ لأن أباه كان صديقاً لعمر، ولما

^(١) أخرجه أحمد (١٧٤٥٢).

^(٢) أخرجه مسلم (٢٥٥٨).



سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ الْإِكْرَامِ قَالَ: «إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَبْرَ الْبِرِّ صَلَةَ الرَّجُلِ أَهْلَ وَدَّ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ يُوَلِّيَ»، وَإِنْ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ»^(١).

٨٢- مشروعية غضب المسلمين عند انتهاك حرمة أميرهم واهتمامهم بدفع ذلك عنه: كما فعل الصحابة رضي الله عنهم مع رسول الله ﷺ ومع زوجته البريئة في الدفاع عنها وتبرئتها رضي الله عنها.

٨٣- جواز سب المتعصب للمبطل: كما سب أسيد بن حضير سعد بن عبادَةَ بسبب عصبية الجاهلية لقريبه عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين، وقال له: «فإنك مُنافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ»؛ وأراد: إنك تفعل فعل المنافقين، ولم يرد النفاق الحقيقي؛ لأن سعد بن عبادَةَ من الصحابة الكرام.

٨٤- وجوب إحسان الظن بالمسلمين في الأصل: فالأصل في المسلم العدالة، ولا يثبت الجرح إلا بدليل، والأصل في المسلم حسن الظن به، ولا يساء الظن إلا بدليل أو قرينة تدل على ذلك.

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٢).



قال الله تعالى: {لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ
بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ} [النور: ١٢]، وقال سبحانه:
{إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ}، فإذا كان سوء الظنِّ له دليله، وقرائنه فليس
بإثم.

٨٥- جوازُ حكاية ما وقع للمرء من الفضل حتى ولو كان فيه
مدحُ ناسٍ وذمُّ آخرين: إذا تضمَّنَ بذلك إزالة توهُمِ النقص عن
الحاكي إذا كان بريئاً، عن قصدٍ نُصح مَنْ يحكي له ذلك؛ لئلا يقعَ
فيما وقع فيه مَنْ سَبَقَ، وأن الاعتناءً بالسلامة من وقوع الغير في
الإثم أولى من تركه يقع فيه، فعائشة رضي الله عنها حكَّت قصتها لبيان براءتها
وفضل الله عليها، ونصحاً للأمة من أن تقع فيما وقع فيه أهل
الإفك، فتكون عاقبتها كعاقبة أهل الإفك؛ {لَقَدْ كَانَ فِي قَصصِهِمْ
عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ}.

٨٦- جواز الركوب على البعير إذا كان يطيق ذلك وبالهودج
وغیره: الهودج يقوم مقام البيت في حجب المرأة عن أنظار
الرجال.



٨٧- جواز إطلاق السَّبِّ على لفظِ الدُّعَاءِ بالسَّوءِ على الشخصِ المذنب: كما قالت أمُّ مِسْطَحٍ رضي الله عنه: «تَعَسَّ مِسْطَحٌ»، فهو دعاءٌ بمعنى السَّبِّ أو سَبٍّ بمعنى الدعاءِ، ولذلك قالت لها عائشةُ: «أَتَسْبِيَنَّ رَجُلًا شَهِدَ بَدْرًا؟».

٨٨- جوازُ وقوعِ الذنبِ من أهلِ بدرٍ المبشرين بالجنة والغفران، وأن ذلك مقرونٌ بالمغفرة؛ تفضيلاً لهم على غيرهم: فَمِسْطَحٌ رضي الله عنه من أهلِ بدرٍ الذين قال اللهُ عنهم: «اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمْ الْجَنَّةُ، أَوْ: فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»^(١)، ومع ذلك وقع منه الذنبُ في تصديقِ أهلِ الإفك، وتكلمَ بقولهم، وأُقيمَ عليه حدُّ الله.

٨٩- أَقِيلُوا ذَوِي الْهَيْئَاتِ عَثَرَاتِهِمْ إِلَّا الْحُدُودَ: مِسْطَحُ بْنُ أَثَاثَةَ رضي الله عنه من ذَوِي الْهَيْئَاتِ المشهودِ لهم بالخيرِ والغفران، ولمَّا وقعَ في حدٍّ من حدودِ اللهِ بقذفِ عائشةَ أُقيمَ عليه الحدُّ، ولم يُعْفَ عنه في ذلك اتِّباعاً للسُّنَّةِ.

^(١) أخرجه البخاري (٣٩٨٣).



٩٠- جوازُ رواية الحديث الواحد عن جماعة، فيُروى عن كلِّ واحدٍ قطعةً منه، وهذا وإن كان فعلَ الزُّهريِّ وحده، فقد أجمع المسلمون على قبوله منه والاحتجاج به، فقد جمع الإمام محمد بنُ شهاب الزُّهريُّ روايةَ عروة بن الزبير، وروايةَ سعيد بن المسيَّب، وروايةَ علقمة بن وقاص، وروايةَ عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، ونسَّقَها في حديثٍ واحدٍ، وقد أقرَّه على ذلك أهلُ العلم قاطبةً، وتلقَّوه بالقبول، وكثيراً ما يفعلُ الشيخُ الألبانيُّ ذلك في كتاباته.

٩١- توقُّفُ خروجِ المرأة من بيتها على إذنِ زوجها ولو كان إلى بيتِ أبويها: فعائشة رضي الله عنها لما أرادت الذهابَ لأبويها لم تخرُجْ إلا بعد استئذانِ النبي صلى الله عليه وسلم.

٩٢- خبر الواحد إذا جاء شيئاً بعد شيءٍ أفاد القطعَ واليقينَ: لقول عائشة رضي الله عنها: «وَأَنَا حِينَئِذٍ أُرِيدُ أَنْ أَسْتَيْقِنَ الْخَبَرَ مِنْ قِبَلِهِمَا»، وذلك لا يتوقَّفُ على عددٍ معيَّن، فحين سمعت الخبرَ من أمِّ



مِسْطَحٌ رضي الله عنه وهي ثقةٌ أرادتِ التُّبْتُ أَكْثَرَ وَالِاسْتِيقَانَ، فَسَأَلَتْ
وَالِدِيهَا، فَصَدَّقَا الْخَبَرَ، فَازْدَادَتْ يَقِينًا بِمَا قِيلَ، وَازْدَادَتْ مَرْضًا.

٩٣- **الْبَحْثُ عَنْ حَالِ مَنْ أُتِّهِمَ بِشَيْءٍ**: حِكَايَةُ التُّهْمَةِ لِلْكَشْفِ
عَنْهَا لَا يُعَدُّ مِنَ الْغَيْبَةِ الْمَحْرَمَةِ، وَلَا مِنَ التَّجَسُّسِ.

٩٤- **جَوَازُ اسْتِعْمَالِ جُمْلَةِ «لَا نَعْلَمُ عَنْهُ إِلَّا خَيْرًا» فِي التُّزْكِيَةِ**:
وَذَلِكَ كَافٍ فِي حَقِّ مَنْ سَبَقَتْ عَدَالَتُهُ مِمَّنْ يَطْلَعُ عَلَى خَفِيِّ أَمْرِهِ.

٩٥- **تَقْدِيمُ الْعُذْرِ قَبْلَ الْعِتَابِ**: وَهَذَا وَاضِحٌ مِنْ تُّزْكِيَةِ بَرِيرَةَ
لِعَائِشَةَ رضي الله عنها، وَأَنَّهَا لَا تَعِيبُ عَلَيْهَا شَيْئًا إِلَّا أَنَّهَا جَارِيَةٌ صَغِيرَةٌ حَدِيثُهُ
السَّنُّ، تَنَامُ عَنْ عَجِينِهَا، فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ.

فَبَيَّنَتْ عُذْرَهَا فِي النَّوْمِ عَنِ الْعَجِينِ، وَأَنَّهَا ابْنَةُ صَغِيرَةٍ السَّنِّ،
فَقَدَّمَتْ الْعُذْرَ قَبْلَ الْعَيْبِ إِنْ كَانَ عَيِّبًا.

٩٦- **مَنْ آذَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَجَزَاؤُهُ الْقَتْلُ مَا لَمْ يَعْفُ عَنْهُ**
رَسُولُ اللَّهِ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي حَقِّ مَنْ شَتَمُوهُ وَسَبُّوهُ: «اقْتُلُوهُمْ وَإِنْ
وَجَدْتُمُوهُمْ مُتَعَلِّقِينَ بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ»^(١).

^(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٩١٣).



وقال في حق المرأة التي قتلها زوجها بسبب أنها كانت تشتتم الرسول ﷺ وتسبهه، ونهاها زوجها فلم تنته، وزجرها فلم تنزجر، فقتلها فقال النبي ﷺ: «أَلَا اشْهَدُوا أَنَّ دَمَهَا هَذَرٌ»^(١).

وفي هذا الحديث: قال سعد بن معاذ للنبي ﷺ: «فَإِنْ كَانَ مِنَ الْأَوْسِ ضَرَبْتُ عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِنَا مِنَ الْخَزَرَجِ أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا أَمْرَكَ»، فأقره النبي ﷺ على قوله بقتل المؤذي لرسول الله ﷺ؛ ولكن النبي ﷺ لم يقتل ابن سلول وتركه لحكم كثيرة.

٩٧- جواز إطلاق الكذب على الخطأ: كما قال سعد بن عبادة لسعد بن معاذ: «كَذَبْتُ، لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ».

٩٨- جواز الحلف بقول: «لَعَمْرُ اللَّهِ»؛ أي: وحياة الله: فهو حلف بصفة الحياة لله تعالى، الحياة الأبدية التي لم يسبقها عدم، ولا يتبعها فناء.

٩٩- على الإنسان أن يقول الحق، ولا يعترف على نفسه بشيء لم يقع: كما قالت عائشة رضي الله عنها: «فَلَيْنَ قُلْتُ لَكُمْ: إِنِّي بَرِيئةٌ، لَا

^(١) أخرجه أبو داود (٤٣٦١)، والنسائي (٤٠٧٠)، وصححه الألباني.



تَصَدِّقُونِي، وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيءٌ،
لَتَصَدِّقَنِي، فَوَاللَّهِ لَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلًا إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ:
{فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف: ١٨]، ثُمَّ
تَحَوَّلْتُ وَاضْطَجَعْتُ عَلَى فِرَاشِي، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي حِينَئِذٍ بَرِيءٌ، وَأَنَّ
اللَّهَ مُبَرِّئِي بَرَاءَتِي».

١٠٠- وقوع المغفرة لمن أحسن إلى من أساء إليه: أساء
مِسْطَحٌ لِأَبِي بَكْرٍ، فَأَحْسَنَ أَبُو بَكْرٍ إِلَيْهِ، فَغَفَرَ اللَّهُ لِأَبِي بَكْرٍ.
١٠١- يُسْتَحَبُّ لِمَنْ حَلَفَ أَلَّا يَفْعَلَ الْخَيْرَ أَنْ يَحْنَثَ فِي يَمِينِهِ،
وَيُكْفَرُ عَنْهُ، وَيَفْعَلُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ: كما جرى لأبي بكرٍ لَمَّا حَلَفَ
أَلَّا يُنْفِقَ عَلَى مِسْطَحٍ، فَكَفَّرَ عَنْ يَمِينِهِ، وَتَصَدَّقَ عَلَيْهِ.
وأحياناً قد يجبُ الحِثُّ فِي الْيَمِينِ إِذَا حَلَفَ عَنْ فِعْلٍ مُحَرَّمٍ أَوْ
تَرْكِ وَاجِبٍ، وَجَبَ عَلَيْهِ الْحِثُّ وَالْكَفَارَةُ، وَفَعُلَ مَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ
عَلَيْهِ، وَتَرَكَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ.

١٠٢- التَّاسِّي بِمَا وَقَعَ لِلْأَكَابِرِ: كما تَأَسَّتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي الصَّبْرِ
عَلَى بَلَائِهَا بِنَبِيِّ اللَّهِ يَعْقُوبَ فِي صَبْرِهِ عَلَى فَقْدِ يُوسُفَ؛ حَيْثُ قَالَ:



{ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾ } [يوسف: ١٨] ففعلت

كما فعل يعقوبُ تأسياً به، قال الله: {أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ^ص فِيهِدْلَهُمْ أَقْتَدَهُ^ق ﴿٩٠﴾} [الأنعام: ٩٠].

١٠٣- السُّنَّةُ مَبِينَةٌ ومفسرةٌ ومفصلةٌ لِمَا أَجْمَلَ في القرآن: فقد وردت قصةُ الإفكِ مُجْمَلَةً في سورة النور، والذي فَسَّرَ أحداثها وأحكامها مع القرآن هو السنة، وما ورد فيها من الأحاديث والقصص والآثار.

١٠٤- الحكمةُ من قولِ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ لرسولِ الله ﷺ في مشورته إياه: «لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَالنِّسَاءُ سِوَاهَا كَثِيرٌ، وَسَلِ الْجَارِيَةَ تَصَدُّقَكَ».

قال عليٌّ ذلكَ لِمَا رَأَى شِدَّةَ انزعاجِ النبي ﷺ وقلقه من هذا الأمر، فأرادَ راحةَ خاطرِه، وكان ذلكَ أهمَّ من غيره، وفي نفسِ الأمرِ لم يعبُ في عائشة، ولم يطعنُ فيها، وإنما قال للنبي ﷺ: سَلِ الْجَارِيَةَ تَصَدُّقَكَ، فسألَ الجاريةَ، فشهدتُ بالخيرِ والثناءِ والعفةِ والكرامةِ لعائشةَ رضيَ الله عنها.



فكانت نعمت المشورة من عليّ، ولذلك قال النووي: هذا الذي قاله عليّ هو الصواب^(١).

١٠٥- الذي تولّى كبره هو رأس المنافقين عبد الله بن أبي ابن سلول لعنه الله: فقد روى البخاري رحمه الله عن الزهري، قال: قال لي الوليد بن عبد الملك: أبلغك أن علياً كان فيمن قذف عائشة؟ قلت: لا، ولكن قد أخبرني رجلان من قومك، أبو سلمة بن عبد الرحمن، وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث، أن عائشة رضي الله عنها قالت لهما: «كان عليّ مسلماً في شأنها فراجعوه، فلم يرجع»^(٢).

أي: كان مسلماً ببراءتها، وأيد براءتها بشهادة الجارية بريرة؛ لأن بعض النواصب زعم زوراً أن علياً كان ممن قذف عائشة، فبين له الزهري أن هذا كذب بشهادة عائشة، فهي التي قالت بأن علياً بريء من ذلك، وأن الذي تولّى كبره هو عبد الله بن أبي ابن سلول.

^(١) شرح النووي لصحيح مسلم (١٧/ ١٠٨)، فتح الباري لابن حجر (٨/ ٣٢٤).

^(٢) أخرجه البخاري (٤١٤٢).



فقد روى الطبراني عن الزُّهريِّ، قال: «كُنْتُ عِنْدَ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ النُّورِ مُسْتَلْقِيًا فَلَمَّا بَلَغَ: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ...} حَتَّى بَلَغَ: {وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور: ١١] جَلَسَ، ثُمَّ قَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَنْ تَوَلَّى كِبْرَهُ، أَلَيْسَ عَلَيَّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟

قال الزُّهريُّ: قُلْتُ: لَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَالَ: فَضَرَبَ بِقَضِيئِهِ السَّرِيرَ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: فَمَنْ؟ حَتَّى رَدَّدَ ذَلِكَ مَرَارًا، قُلْتُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ سَلُولَ^(١).

١٠٦- معنى الإفك:

هو الكذبُ الذي يتحيرُ المرءُ من شِدَّتِهِ، والبُهتانُ الذي لا تشعرُ به حتى يفجأكَ، فهو أشدُّ الكذبِ وأسوؤُهُ، وهو الافتراءُ والبُهتانُ، وحادثَةُ الإفكِ: الفريةُ التي رُميتَ بها الطاهرةُ المطهرةُ البريئةُ المبرأةُ أمُّ المؤمنين الصَّديقةُ بنتُ الصِّديقِ عائشةُ بنتُ أبي

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٤٥).



بكر عليه السلام أحب الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من النساء، وأبوها أحب الناس إليه من الرجال.

سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ»، فَقُلْتُ: مِنْ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: «أَبُوهَا»، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ» فَعَدَّ رَجَالًا^(١).

١٠٧- العصمة ليست لأحدٍ من هذه الأئمة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم:
فكلُّ بني آدمَ خطَّاءٌ، وخيرُ الخطَّائين التوابون، والصَّحابةُ عدولٌ ومشهودٌ لهم بالجنة؛ ورغمَ ذلك يُصيبون ويُخطئون، ولكنَّ سيئاتهم لا تساوي في بحرِ حسناتهم شيئاً، فحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ومسطحُ بْنُ أَثَاثَةَ وَحَمْنَةُ بِنْتُ جَحْشٍ صَحَابَةٌ كَرَامٌ، ومشهودٌ لهم بالخير، لكنَّهم بشرٌ، وقد وقعوا في قولِ أَهْلِ الْإِفْكِ، وجُلِدُوا، وتابوا، وقَبِلَ اللهُ تَوْبَتَهُمْ، وهم من أَهْلِ الْعَدَالَةِ فِي الدُّنْيَا وَالْجَنَّةِ فِي

^(١) أخرجه البخاري (٣٦٦٢)، ومسلم (٢٣٨٤).



الآخرة، ولا يجوزُ سُبُّهم لقولِ النبي ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»^(١).

١٠٨- لا تحسبوه شرًّا لكم؛ بل هو خيرٌ لكم: فهذه المحنة

كانت في ظاهرها شرًّا؛ لكنها خيرٌ مطلقٌ، فقد رفع الله بها قدرَ أهلِ الإيمانِ الصادقين الصابرين، وأظهر بها فضلَ عائشة أمِّ المؤمنين، ورفع قدرها، وأظهر الله بها المنافقين الحاسدين الحاقدين، وفضحهم، وأظهرت المحبَّ من المُبغضِ والصادق من الكاذب، وكانت أدبًا وتأديبًا للمؤمنين.

وهكذا الابتلاءُ يحملُ في ظاهره الشرَّ للإنسان؛ لكن في باطنه الخيرُ والسعادة، كما جرى في قصة موسى والخضرِ عليهما السلام فخرق السفينة وقَتَلَ الغلامَ وهدمَ الجدارَ كان في ظاهره شرًّا؛ لكنها كانت الخيرَ المطلقَ لأصحابها، ولو اطلَّعتم على الغيبِ لاخترتم

^(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣).



الواقع، قال تعالى: {فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ

خَيْرًا كَثِيرًا} [النساء: ١٩].

١٠٩ وجوب لزوم الأدب الذي أدب الله به المؤمنين في مثل

هذه الشائعات: ومن هذه الآداب:

- حُسنُ الظنِّ بالمسلمين أهلِ الخير، وتكذيبُ ما يُطعنون به
بغير دليل، وقول: هذا إفكٌ مبينٌ.

- التثبتُ بالأدلةِ والبراهين؛ لِئَلَّا يُتْرَكَ أَهْلُ النِّفَاقِ والحسدِ
يخوضون في أعراضِ المسلمين.

- فضيحةُ أهلِ النِّفَاقِ والحقْد؛ ليكونوا عبرةً لغيرهم كما فضحَ
اللهُ ابنَ سَلُولَ وأعوانه من المنافقين.

- معاقبةُ المفترِي الكذابِ في حقِّ أعراضِ المسلمين.

- معرفةُ خطورةِ الكلمةِ وبخاصةٍ ما يُطعنُ به في أهلِ الصِّلاحِ.

- الطعنُ في أهلِ الإيمانِ والعلمِ طعنٌ في دينهم وما يحملونه

من علمٍ نافعٍ وعملٍ صالحٍ الغرضُ منه هدمُ الإسلامِ والصدُّ عن

سبيلِ الله وتنفيرُ الناسِ عن العلماءِ والصالحين.



١١٠ - شعارُ أهل الإيمان في مثل هذه الفتنه: «سُبْحَانَكَ! هذا

بهتانٌ عظيمٌ»: فعن عطاء الخراساني عن الزهري، قال: «وَقَدْ كَانَتْ
امْرَأَةٌ أَبِي أَيُّوبَ، قَالَتْ: لِأَبِي أَيُّوبَ أَمَا سَمِعْتَ مَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ
بِهِ، فَحَدَّثْتُهُ بِقَوْلِ أَهْلِ الْإِفْكِ، فَقَالَ: سُبْحَانَكَ! مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ
نَتَكَلَّمَ بِهَذَا، سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ»^(١).

قالت: «فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: {وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا
أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ} [النور: ١٦].

وروى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال أسامة بن زيد رضي الله عنه:
«سُبْحَانَ اللَّهِ! مَا يَحِلُّ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا، سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ
عَظِيمٌ»^(٢).

- وفي مُرْسَلٍ سعيد بن جبيرة أن سعد بن معاذ قال: «ما يكون لنا
أن نتكلم بهذا، سبحانك! هذا بهتان عظيم».

^(١) أخرجه الطبراني في الكبير (١٤٠).

^(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (١٦٤).



وعن ابن إسحاق بن يسار، عن بعض رجال بني النجار: «أنَّ
أبا أيوب خالد بن زيد قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب، ألا
تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال بلى، وذلك الكذب، أكنتِ
يا أم أيوب فاعلة ذلك؟ قالت: لا والله، ما كنتُ أفعله، قال: فعائشة
خير منك، قالت: فلما أنزل الله القرآن ذكر الله من قال من أهل
الفاحشة ما قال ومن أهل الإفك فقال: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ
عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ
مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ
عَظِيمٌ}، وذلك حسان بن ثابت وأصحابه الذين قالوا ما قالوا، ثم
قال: {لَوْ لَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا}
[النور: ١٢]؛ أي: فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبه»^(١).

- وورد مثله عن أم الطفيل لأبي بن كعب بنحو الحديث الذي
جرى بين أبي أيوب وأم أيوب.

^(١) تاريخ المدينة لابن شبة (١/ ٣٣٥).



١١١ - أهمية التجربة في حياة المسلم: أشارت عائشة رضي الله عنها إلى صغر سنّها وكونها جاريةً حديثة السنّ لبيان عذرها في بحثها عن العقد الذي ضاع منها دون أن تُعلم أهلها، وذلك لقلّة خبرتها في الحياة ولظنّها أنها ستجدّه سريعاً، ولذلك لمّا كبرت وضاع عقدّها في واقعة التيمّم أعلمت النبي صلى الله عليه وسلم، فأقام الناس للبحث عنه، فظهر تفاوت حال من جرب ومن لم يجرب، ولهذا قيل: «لا حكيم إلا ذو تجربة».

١١٢ - جواز خروج المرأة بدون إذن الزوج في الأمور التي جرى العرف بها: فهي لم تستأذن عند خروجها لقضاء حاجتها، وإلا لما غادر النبي صلى الله عليه وسلم المكان بدونها.

١١٣ - عناية الله ورعايته لأوليائه ودفاعه عنهم: وهذا يتضح من جوانب متعددة في القصة، ومنها:

- إلقاء النوم على عائشة رضي الله عنها ليلاً تستوحش البرية.
- تأخر صفوان ليأخذها ويلحقها بالجيش.



- مَرَضُهَا بَعْدَ رَجُوعِهَا، وَعَدَمُ مَعْرِفَتِهَا بِمَا يُقَالُ فِي حَقِّهَا شَهْرًا حَتَّى أَخْبَرَتْهَا أُمُّ مِسْطَحٍ.
- شَهَادَةُ الصَّحَابَةِ لَهَا بِالْخَيْرِ وَالزَّكَاةِ.
- إِنْزَالُ بَرَاءَتِهَا مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَوَاتٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ.
- يَبْرَأُ اللَّهُ ﷻ صَفْوَانَ وَعَائِشَةَ، وَيَرْفَعُ الْغَمَّ عَنِ الرَّسُولِ ﷺ وَالصَّادِقِ وَالْمُسْلِمِينَ.

١١٤ - **من أدب صفوان بن المعطل**: لَمَّا رَأَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهِيَ نَائِمَةٌ لَمْ يُنَادِهَا بِاسْمِهَا، وَلَمْ يُكَلِّمْهَا، وَإِنَّمَا اسْتَرْجَعَ؛ لِيُوقِظَهَا بِلَطْفٍ وَلَا يُفْزِعُهَا، وَأَنَاخَ الْجَمَلَ، فَركَبَتْ، ثُمَّ سَاقَ الْجَمَلَ، وَلَمْ يَكَلِّمْهَا كَلِمَةً، وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهَا نَظْرَةً حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْجَيْشِ.

١١٥ - **مدى غيرة المرأة المسلمة على لحمها واهتمامها بحجابها**: فَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِمَجْرَدِ اسْتِيقَاضِهَا وَرُؤْيَيْهَا لَصَفْوَانَ غَطَّتْ وَجْهَهَا بِخِمَارِهَا وَحَجَابِهَا.



١١٦- **أهمية الساقة في الجيش:** الساقة هم مجموعة من الرجال تسير متأخرة عن الجيش لإغاثة ملهوف، كما جرى في هذا الحديث، أو لجمع الأشياء المفقودة من المحاربين، ونحو ذلك.

١١٧- **وجوب تبرئة المرء لساحته ودفاعه عن نفسه، لئلا يئتهم بما ليس فيه:** فقد دافعت عائشة رضي الله عنها عن نفسها أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم زوجها وأمام والديها، ودافع يوسف الصديق عن نفسه لما اتهمته المرأة بما ليس فيه، والنبى محمد صلى الله عليه وسلم قال: «تعاليا، إنها صفيّة بنت حيي»، قالوا: سبحان الله! يا رسول الله، قال: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإنني خشيت أن يلقي في أنفسكم شيئا»^(١) حين ذهب ليقلبها لبيتها في الليل، وهو معتكف؛ لئلا يقذف الشيطان في قلب الرجلين شرا.

١١٨- **شدة حياء الصحابيّات:** فما كنّ يخرجن لقضاء حاجتهنّ بالبول والغائط قبل أن تتخذ الكنف قريبا من البيوت إلا ليلا.

^(١) أخرجه البخاري (٢٠٣٨)، ومسلم (٢١٧٥).



والحياء خلق الإسلام، قال النبي ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ»^(١).

١١٩- انصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا، ونصرة المظلوم ولو كان الظالم قريبًا: فهذه أم مسطح لم تحاب ولدها، ولم تدافع عنه حين وقع في عرض عائشة، وإنما سبته ودعت عليه، وفيه فضل أم مسطح رضي الله عنها.

١٢٠- جواز استشارة النساء في الأمور المهمة التي تفيد فيها المرأة: فقد استشار النبي ﷺ بريرة، وسألها، واستشار زينب بنت جحش، واستشار أم سلمة في شأن الحديبية رضي الله عنهن جميعًا.

١٢١- حرص الشيطان على التحريش بين المسلمين، وزرع الفتنة والخصومات لإفساد ذات بينهم: فالنبي ﷺ على المنبر يدافع ويبرئ عائشة وصفوان ويقول: «مَنْ يَعْذُرُنِي مِنْ رَجُلٍ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي» فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه؛ لينفذ أمر الرسول ﷺ،

^(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٨١)، وحسنه الألباني.



واحتملت الجاهلية سعد بن عبادة رضي الله عنه على سعد بن معاذ، حتى هموا أن يقتتلوا، وهذا من عمل الشيطان.

فسكتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخفضهم، وسكت واختار أخف الضررين وأعلى المصلحتين، وأوقف الخصومة بين المتخاصمين وسد ذريعة الشر والفرقة والفتنة.

١٢٢- **التوبة تجب ما قبلها:** لقول النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها: «وإن كنت ألممت بذنب، فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب تاب الله عليه»، وهذا مصداق قول الله سبحانه: {إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا} [الفرقان: ٧٠].

١٢٣- **الصبر مفتاح الفرج:** صبرت عائشة على ما قيل فيها، وفوضت أمرها إلى الله، وقالت كما قال يعقوب عليه السلام: {فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ} [يوسف: ١٨].



والصبرُ الجميلُ هو الذي لا ضَجَرَ فيه، فجاءَ اللهُ بالفَرَجِ، ولم يُبرِّئها إلا اللهُ عز وجل في قرآنٍ عزيزٍ عظيمٍ كريمٍ مبينٍ محفوظٍ بحفظِ الحفيظِ الجميلِ العزيزِ الحكيمِ.

١٢٤ - الاستعانةُ باللهِ والتوكلُ عليه وتفويضُ الأمرِ إليه: عند حلولِ المصائبِ والبلايا والفتنِ، فليس لها من دونِ اللهِ كاشفةٌ، قال اللهُ تعالى: {أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَأَلَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ} [النمل: ٦٢].

١٢٥ - رؤيا الأنبياءِ حقٌّ ووحىٌ من اللهِ تعالى: لأنَّ الشيطانَ ليس له تسلُّطٌ ولا سبيلٌ على الأنبياءِ، فهم معصومون من ذلك، ولهذا لما قال إبراهيمُ لإسماعيلَ: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَئُ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى} [الصافات: ١٠٢] قال نبيُّ اللهِ إسماعيلُ عليه السلام بسرعةٍ وبلا ترددٍ: {يَأْتَبَتْ أَفْعَلَ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ} [الصافات: ١٠٢].



لعلمه اليقيني أن رؤيا الأنبياء وحي، ولهذا قال ابن عباس رضي الله عنهما:
«رُؤْيَا الْأَنْبِيَاءِ وَحْيٌ»^(١).

وهنا قالت عائشة رضي الله عنها: «وَلَكِنْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ يَرَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي النَّوْمِ رُؤْيَا يَبْرِّئُنِي اللَّهُ بِهَا» لعلمها بأن رؤيا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وحي من الله تعالى.

١٢٦- من آداب المؤمن الصادق ازدراؤه لنفسه، وهضمه لها والتواضع، وألا يرى نفسه شيئاً مهما بلغ من العلم والعبادة: فلا يغتر بعلم ولا بعبادة ولا بعلو منزلة بين الناس لصلاحه، أو علمه، أو جاهه، أو سلطانه؛ بل الواجب دائماً أن يتهم نفسه بالتقصير.

فهذه عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين، وزوج سيد الأولين والآخرين، وابنة صديق الأمة، وأحب النساء لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فضلها على الناس كفضل الثريد على سائر الطعام، وهي الفقيهة، العالمة، التقية، المبرأة التي زكّاها الله واختارها زوجاً لنبه ومصطفاه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وزوجها إياه، وهي التي كانت ينزل الوحي في بيتها، وهي زوج

^(١) أخرجه البخاري (١٣٨).



النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، ومع ذلك لا ترى في نفسها أنها شيء،
تقول ﷺ: «وَلَشَأْنِي كَانَ أَحْقَرَ فِي نَفْسِي مِنْ أَنْ يَتَكَلَّمَ اللَّهُ ﷻ فِيَّ بِأَمْرٍ يُتْلَى».

فمن ازدري نفسه وتواضع لربه وشعر بالتقصير كان عند الله فوق ذلك كله، فمن تواضع لله رفعه الله.

ومن ابتلي بعجب النفس أو المال أو العلم أو الجاه والسلطان وغير ذلك خسف الله به الأرض، وأذله وأهانته، وجعله عبرة لمن يعتبر، فقد قال الله عن قارون لما اغتر بماله وعلمه وقال: {إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي}، وخرج على قومه في زينته؛ ليغيظ قومه الناصحين له، قال الله: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ} [القصص: ٨١].

ولما أعجب المقاتلون بكثرتهم في غزوة حنين هزمهم الله في أول المعركة، فلما تابوا من ذلك، وانكسروا لله، نصرهم الله، وقال



النبي ﷺ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ لَهُ، مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١).

١٢٧- وجوب إسناد النعم كلها لله وحده لا شريك له: قال الله

تعالى: {وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} [النحل: ٥٣]، ولما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها قالت لها أمها: «قومي إلى رسول الله»، لتحمدته وتشكره، فقالت: «وَاللَّهِ لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، فَإِنِّي لَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ ﷻ؛ هو الذي أنزل براءتي» فالله جل وعلا هو الباري، ومن معاني الباري أنه هو الذي يبرئ عباده المؤمنين مما اتهموا به كذباً وزوراً.

وشكر الناس على فضلهم من شكر الله تعالى؛ لقول النبي ﷺ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ ﷻ»^(٢).

١٢٨- كريم أخلاق النبي وحكمته: قال الله تعالى: {وَمَا بِكُمْ

مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ} [النحل: ٥٣] فلما نزلت براءة عائشة رضي الله عنها قالت

^(١) أخرجه البخاري (٥٧٨٩)، وأحمد (٩٠٦٥)، واللفظ له.

^(٢) أخرجه أحمد (٧٥٠٤)، والترمذي (١٩٥٥)، وصححه الألباني.



لها أمُّها: «قُومِي إلى رسولِ الله» لتحمده وتُشكره، فقالت: «وَاللهُ، لَا أَقُومُ إِلَيْهِ، فَإِنِّي لَا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ ﷻ».

فَاللهُ جَلَّ وعَلا هو الباريُّ، ومن معاني الباريِّ أَنه هو الذي يَبْرِيُّ عِبَادَه الْمُؤْمِنِينَ مِمَّا اتَّهَمُوا بِهِ كِذْبًا وَزُورًا.

وَشَكَرُ النَّاسِ عَلَى فَضْلِهِمْ مِنْ شُكْرِ اللهِ تَعَالَى؛ لِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللهَ ﷻ».

فَمَعَ كُونِ ابْنِ سَلُولٍ هُوَ الَّذِي تَوَلَّى كِبَرَ هَذِهِ الْفِتْنَةِ، وَكَانَ يُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ﷺ طَوَالَ حَيَاتِهِ، وَمَعَ ذَلِكَ صَلَّى عَلَيْهِ الْجَنَازَةُ مَعَ عِلْمِهِ بِكُفْرِهِ وَنِفَاقِهِ، وَكَفَّنَهُ فِي ثَوْبِهِ، وَذَلِكَ لِأَمْرَيْنِ:

الأول: جَبْرًا لِخَاطِرِ الصَّحَابِيِّ الْجَلِيلِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ.

الثاني: رَدًّا لِجَمِيلِ ابْنِ سَلُولٍ لِلْعَبَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَمِّ الرُّسُولِ ﷺ لَمَّا أَلْبَسَهُ رِدَاءَهُ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ حِينَ سَقَطَ رِدَاءُ الْعَبَّاسِ، فَالْنَبِيُّ ﷺ خَلَعَ رِدَاءَهُ وَكَفَّنَ بِهِ ابْنَ سَلُولٍ؛ رَدًّا لِمَعْرُوفِهِ مَعَ عَمِّهِ ﷺ.



١٢٩- مكانة الصديقة عائشة رضي الله عنها عند الله تعالى:

ويكفي أنه سبحانه لما ذكر مقالة الناس فيها سبح نفسه منزهًا لها، فقال: {وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾} [النور: ١٦]، فالله منزه عن أن يدنس عرض رسوله صلى الله عليه وسلم، فنزه نفسه وبرأ عائشة رضي الله عنها.

من أم المؤمنين عائشة رضوان الله عليها؟

- هي الصديقة بنت الصديق عائشة بنت أبي بكر زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، المبرأة من فوق سبع سموات، المبشرة بالجنة.

- روى البخاري ومسلم عن أبي موسى وأنس، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ»^(١)؛ أي: فضلت عائشة على النساء، كما فضل اللحم على سائر الأطعمة، وفضلها زائد كزيادة فضل الثريد على غيره من

^(١) صحيح الجامع (٢١١٧).



الأطعمة، وذلك بحُسن الخُلُق، ورَجاحةِ العقل، فهي أفضلُ نساءِ الأُمّةِ بعد خديجةَ وفاطمةَ رضي الله عنهما.

- روى البخاريُّ عن عمرو بن العاصِ، قال للنبيِّ ﷺ: يا رسولَ الله، أيُّ النَّاسِ أحبُّ إليك؟ قال: «عائشةُ». قيل: منَ الرِّجالِ؟ قال: «أبوها»^(١).

- روى الشيخان عن عائشةَ أن النبيَّ ﷺ قال لها: «يا عائشُ، هذا جبريلُ يُقرئُكَ السَّلامَ». قلتُ: وعليه السَّلامُ ورحمةُ الله. قالت: وهو يرى ما لا نرى^(٢).

- روى البخاري عن هشامٍ عن أبيه، قال: كان النَّاسُ يَتَحَرَّوْنَ بهداياهم يومَ عائشةَ، قالت عائشةُ: فاجتمع صَواحبي إلى أمِّ سَلَمَةَ، فقلن: يا أمِّ سَلَمَةَ، واللهِ إنَّ النَّاسَ يَتَحَرَّوْنَ بهداياهم يومَ عائشةَ، وإنَّا نُريدُ الخيرَ كما تُريدُه عائشةُ، فمُرِّي رسولَ الله ﷺ أن يأمرَ النَّاسَ أن يُهدوا إليه حيثما كان، أو حيثما دار. قالت: فذكرت ذلك أمِّ

(١) أخرجه البخاري (٦٢٠١)، ومسلم (٢٤٤٧)

(٢) أخرجه البخاري (٤١٠٠)، ومسلم (٢٣٨٤)



سَلَمَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، قالت: فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا عَادَ إِلَيَّ ذَكَرْتُ لَهُ ذَاكَ،
فَأَعْرَضَ عَنِّي، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ ذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ، لَا
تُؤْذِنِي فِي عَائِشَةَ؛ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ مَا نَزَلَ عَلَيَّ الْوَحْيُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ
مِنْكُمْ غَيْرَهَا»^(١).

- روى البخاري عن أُمِّنا عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهَا:
«رَأَيْتُكَ فِي الْمَنَامِ مَرَّتَيْنِ، إِذَا رَجُلٌ يَحْمِلُكَ فِي سَرَقَةٍ حَرِيرٍ، فَيَقُولُ:
هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَأَكْشِفُهَا فَإِذَا هِيَ أَنْتِ، فَأَقُولُ: إِنَّ يَكُ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
يَمْضِيهِ»^(٢).

فعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا اصطفاها الله واختارها لأن تكون زوجًا لخليله
ومصطفاه محمد ﷺ، وهي بنتُ صَدِيقِ الْأُمَّةِ وخيرها بعد النبي
ﷺ، وهي الْعَالِمَةُ التَّقِيَّةُ الصَّحَابِيَّةُ الَّتِي رَبَّاهَا اللَّهُ عَلَى يَدِ نَبِيِّهِ، وهي
زَوْجُ النَّبِيِّ ﷺ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، الطَّيِّبَةُ الْمُطَيَّبَةُ، الْمُبْرَأَةُ مِنَ اللَّهِ

^(١) أخرجه الترمذي (٣٨٧٩)

^(٢) أخرجه البخاري (٧٠١١)، ومسلم (٢٤٣٨)



تعالى، فَمَنْ أَحَبَّهَا فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ طَعَنَ فِي عَرِضِهَا فَهُوَ كَافِرٌ
بالإجماع.

١٣٠- **مكانة العفة وأهلها عند الله:** العفة من صفات المؤمنين الصادقين المخلصين؛ بل هي تاج رؤوسهم الذي زينهم الله به، ومن عظيم مكانة العفة عند الله أن الله سبحانه هو الذي يتولى الدفاع عنهم بنفسه، وهو الذي يقبض لهم مَنْ يَقُومُ بِالذَّبِّ عَنْهُمْ، فقد برأ الله عائشة ويوسف ومريم وجريج العابد مما اتهموا به زوراً، وذلك لعفتهم وإخلاصهم وتقواهم لله.

١٣١- **يستحيل أن تزني زوجة نبي:** لأن زناها طعن في عصمة النبي وفي دعوته ودينه؛ بل هو طعن في الله الذي اصطفى له زوجته، فلم تزني زوجة نوح ولا زوجة لوط، وإنما كانت خيانتها بالشرك والكفر والعداوة للإيمان وأهلها والولاء للشرك وأهلها.

وأما قول الله في حق ابن نوح: **{إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ}**؛ أي: ليس من أهلِكَ المؤمنين الناجين.



١٣٢ - من أشد أنواع الظلم والبلاء ظلم ذوي القربى:

فمسطح بن أثاثه ابن خالة أبي بكر، وعم عائشة، فهو لها بمنزلة أبيها، وكان ينبغي أن يدافع عنها، وأن يحسن الظن بها؛ لأنها عرضة، لكن جاء البلاء من جانبها، فهذا كان أشد ألمًا لأبي بكر وعائشة ورسول الله والمؤمنين، وهكذا إذا جاء الطعن من ذوي الأرحام.

ولهذا قال أبو بكر: «وَاللَّهِ لَا أَنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا، بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ» من شدة حزنه وغضبه، ثم لما عاتبه الله أنفق طاعة لله.

١٣٣ - إن حسن العهد من الإيمان: كانت عائشة رضي الله عنها تكره أن يسب عندها حسان بن ثابت رضي الله عنه، وتقول فإنه قال:

فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي * لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ
فمع أن حسان رضي الله عنه كان ممن وقع في عرضها في حادثة الإفك، وتاب، وجلد ثمانين جلدة؛ لكنها عقولة وفيّة، فلم تسبه، وكانت



تكره سبّه وذمّه؛ لأنّ حسان كان يُدافعُ ويُنافحُ عن زوجها وحبيبتها
سيد الخلق رسول الله محمد ﷺ.

وهذا كله من شكران النعم وحفظ الجميل وصيانة الحرمة،
قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ، لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ ﷻ»^(١)، وقال
ﷺ: «وَأِنْ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ»^(٢).

١٣٤ - يجوز تأخير الحدّ عمّن يُخشى من أتباعه الفتنة.

١٣٥ - لا يجبُ على الزوج المسافر بإحدى زوجاته قضاء مدة
السفر لأزواجه المقيّمات: وهذا مُجمَعٌ عليه إذا كان السفر طويلاً،
وحكم السفر القصير كالطويل على الصحيح^(٣).

١٣٦ - وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ: حادثة الإفك كانت معركة
خاضها رسول الله ﷺ، وأهل بيته رضي الله عنهم جميعاً، والمسلمون،
والإسلام، وخرج الجميع مؤيِّداً بنصر الله، وهذه سنة الله مع عباده

^(١) أخرجه أحمد (٧٥٠٤)، والترمذي (١٩٥٥)، وصححه الألباني.

^(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٤٠).

^(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١١٦/١٧).



الصالحين، قال تعالى: {إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٧٣﴾} [الصفات: ١٧٢]، {وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾} [يوسف: ٢١].

١٣٧- الشيعةُ الرافضةُ كفارٌ: لأنهم يكفرون عائشةَ ويرمونها بالزنى والبُهتان، وكذلك يُكفرون مُجَمَّلَ الصحابةِ ﷺ، وعلى رأسهم أبو بكرٍ وعمرُ، وابتاهما عائشةُ و حفصةُ، فلعنةُ اللهِ على مَنْ كَذَّبَ اللهَ، وطَعَنَ في عائشةَ والصحابةِ!

ورَضِيَ اللهُ عن الصحابةِ أجمعين!

١٣٨- دور المنافقين في التفريق بين الأحبة، وبين العلماء والصالحين من أهل السنة والجماعة: فهذا المنافق ابنُ سَلُولَ وأَعوانُهُ حاولوا أَنْ يَجِدُوا ثَغْرَةً يُفَرِّقُونَ بها بينَ رسولِ الله ﷺ وبينَ أحبِّ الناسِ إليه من النساءِ ومن الرجالِ، فأحَبُّ الناسِ إلى رسولِ الله ﷺ من النساءِ عائشةُ رضي الله عنها، ومن الرجالِ أبوها أبو بكرٍ رضي الله عنه، وهذا كان من أعظمِ مقاصدِ ابنِ سَلُولَ في الطعنِ في عائشةَ بالزنى، وهكذا



أهل النفاق في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، فاحذروهم؛ فهم أشدُّ من السَّحرة الذين يفرِّقون بين المرءِ وزوجِه.

١٣٩- قصة الإفك من أعظم الأدلة على وجود الله: الربُّ العليُّ الكبيرُ العظيمُ الرؤوفُ الرحيمُ السميعُ البصيرُ الحكيمُ العليمُ الخبيرُ القريبُ المجيبُ، مدبرُ الأمرِ، يعلمُ خائنةَ الأعينِ وما تخفي الصدورُ، نصيرُ المؤمنين، ومُخزي المنافقين الكافرين، ومعاقبُ المذنبين.

فالله العليُّ الأعلى المتعالِ المستوي على عرشه فوق سبع سمواتٍ لا تخفى عليه خافيةٌ، ولا يجرى شيءٌ في الكونِ إلا بعلمه وتحت بصره وسمعه ومشيتته وإحاطته، يمهِّل ولا يمهِّلُ. لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له، له الملكُ، وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، سبحانَ ربِّكَ ربِّ العزةِ عَمَّا يصفونَ، وسلامٌ على المرسلينَ، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

وصلِّ اللهم على نبيِّنا محمدٍ وعلى آله وصَحْبِهِ وسلِّم!

آمينَ آمينَ!



فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	٣
المبحث الأول: الآيات القرآنية التي نزلت في حادثة الإفك ومعانيها	٦
المبحث الثاني: المعنى الإجمالي للآيات والقصة	٩
المبحث الثالث: الحديث الوارد في القصة	٢٠
معاني كلمات الحديث	٣٠
المبحث الرابع: الدروس والأحكام المستفادة من قصة الإفك	٣٤
من الأدب مشي الرجال أمام النساء	٤٥
النبي ﷺ بشرٌ يُصِيبُهُ ما يصيبُ البشرَ من الهمِّ والحُزنِ والغمِّ والألم ونحو ذلك ولا يعلمُ الغيبَ وجوبُ التَّثبتِ من خبرِ الفاسقِ والتَّأني في الحكمِ على الناسِ	٤٧
استشارة البطانة الصالحة في المهمات	٥٣
البريء سبيروهُ اللهُ مِنْ فضله وكرمه	٦١



٦٧

مَنْ شَكَّ فِي بَرَاءَةِ عَائِشَةَ فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ، وَكَافِرٌ بِرَسُولِهِ،
وَكَافِرٌ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ

٦٧

الدليل على كفر مَنْ قَذَفَ عَائِشَةَ بالفاحشة

٧١

جريمة الزنا لا تثبتُ إلا بواحدٍ من ثلاثة

٩٩

وجوبُ لزومِ الأدبِ الذي أدَّبَ اللهُ به المؤمنين في مثلِ
هذه الشائعات

١٠٢

أهمية التجربة في حياة المسلم

١٠٢

عنايةُ اللهِ ورعايته لأوليائه ودفاعُه عنهم

١٠٨

من آدابِ المؤمنِ الصادقِ ازدراؤه لنفسه، وهضمُه لها
والتواضعُ، وألا يرى نفسه شيئاً مهما بلغ من العلمِ
والعبادةِ

١١٢

مكانةُ الصَّديقةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا عند الله تعالى

